

أيار وحزيران ١٩٤٢ جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٣٦١

حكمة حكيم عربي [1]

ما كانت الرحلة في طلب العلم أيام استبحار العمران في الديار الاسلامية بأقلّ من تنقل العلماء اليوم في الغرب لاتمام الثقافة والبحث . واذا سهل اليوم على ابن هذا العصر التنقل من قطر الى قطر بل من قارة الى قارة فقد كانت المواصلات في القديم من الصعوبة بمكان ، على محاولة أهل تلك العصور تسهيلها .

وكانت حواضر العلم في الاسلام لا تقل شأناً عن حواضر العلم في الغرب لعهدنا ، ويزيد بلاد الاسلام رونقاً كثرة العواصم العلمية ، فاذا كانت البرتقال تفاخر بقلمرية واسبانيا بصلمنكة وفرنسا بباريز وبريطانيا باكسفورد وكمبردج وهولاندة بليدن والمانيا بليبسيك وايطاليا ببولون ، عادةً لها حواضر العلم فيها ، فان المملكة الاسلامية كانت تفاخر بعواصم كثيرة كل واحدة في العلم ليست دون الحواضر الكبرى . فقرطبة وطُليطلة وغرناطة وافريقية والفسطاط ودمشق وبغداد ونيسابور والري وسمرقند وغزنة وعشرات غيرها من كبار المدن كانت مفخرة من المفاخر بما قام فيها من دور علم وكثرة دارسين ومدرسين ، وخزائن كتب . وبينا كنت تجد العالم المحدث من ابناء الاندلس في الغرب يقصد الى خراسان في الشرق ليتلقى حديثاً ويصل سنداً عالياً بسنده كنت تجد ابن السند يسافر الى ما وراء النهر لا يحسب للمسافات التي يقطعها حساباً ، ولا للايام التي يصرفها في سبيل اقتباس العلم قيمة .

(١) حديث للأستاذ محمد كرد علي ألقي باسمه في راديو فلسطين بالقدس

نبغ في دمشق في القرن الثاني حكيم فيلسوف قالوا انه ممن ادرك الاتباع وكلامه مستفاد في الحكمة اسمه صالح بن جناح اللخمي فرحل الى نيسابور ، ولا يعلم لأي غاية ، وهناك في عاصمة خراسان أخذ عنه الحكمة عالم الاسلام عمرو بن بحر الجاحظ . عربيّ يأخذ الفلسفة عن عربيّ في أرض مهما قيل فيها فهي فارسية ، ذلك لأن الاسلام قضى على العنجهية الجنسية ولم يبق ذكراً لحمية الجاهلية وتعصب الشعوبية .

نبغ هذا الحكيم العظيم في زمن لم يتم فيه نقل حكمة القدماء الى اللسان العربي ، وما أخذ على ما يظهر الا عن حكمة الاسلام والعرب ، وما امتزجت ثقافته الا بقليل من ثقافة الامم التي كانت قبل الاسلام كالروم والفرس والهند والسريان والكلدان . تبين ذلك من كلمات أثرت عنه ومنها كتاب (الادب والمروءة) الذي ظفر به العلامة الشيخ طاهر الجزائري ونشره بعد نحو اثني عشر قرناً مضت على تأليفه . وتتجلى الرشاقة والسلاسة في كلام صالح وكأن انشاءه انشاء رجل من أهل القرون التالية يكتب ليفهم وليعلّم ، ويبسط كلامه حتى تحصل منه فائدة يتوقعها في انارة عقول العوام والخواص .

استمع اليه يقول لابنه : يا بني اذا مرّ بك يوم وليلة قد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى ، فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره ، في ذلك اليوم وانت في عافية وفيه يقول :

لو أنني أعطيت سؤلي لما   سألت الا العفو والعافية
فكم فتى قد بات في نعمة   فسلّ منها الليلة الثانية

وفيه اشارة الى حديث ابي بكر رضي الله عنه : سلوا الله العفو والعافية والمعافاة ، والمعافاة هي ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم .

وقال : اعلم ان من الناس من يجهل اذا حلمت عنه ، ويحلم اذا جهلت عليه ، ويحسن اذا أسأت به ، ويسيء اذا أحسنت اليه ، وينصفك اذا ظلمته ، ويظلمك

اذا انصفته ، فمن كان هذا خلقه فلا بدَّ من خلق ينصفك من خلقه ثم قحة تنصف من قحته ، وجهالة تقدع من جهالته . والا أذلك ، لأن بعض الحلم اذعان ، وقد ذل من ليس له سفيه يعضده ، وضلَّ من ليس له حكيم يرشده . وهذا مقتبس من روح الشرع .

وقال : اعتبر بما لم تره من الأشياء بما قد رأيته ، وما لم تسمعه بما قد سمعته ، وما لم يصبك بما أصابك ، وما بقي من عمرك بما قد مضى ، وما لم يَبلَ منك بما قد بَلي . وقال : اذا طلب رجلان أمراً ظفر به اعظمهما مروءة . وقال : اصل المروءة الحزم وثمرها الظفر .

يقول ابن عساكر : ان صالح بن جناح كان عديم نظير القول في المواعظ والأدب ، وهو القائل :

الا انما الانسان غمد لقلبه ولا خير في غمد اذا لم يكن نصلُ

وان تجمع الآفات فالبخل شرها وشرٌ من البخل المواعيد والمطل

ولا خير في وعد اذا كان كاذباً ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وكان صالح شاعراً مجيداً وقف شعره على بث الحكمة كما وقف نثره ، وأنشد له الجاحظ

تعلم اذا ما كنت لست بعالم فما العلم الا عند أهل التعلمِ

تعلم فان العلم أزين للفتى من الحلة الحسناء عند التكلم

ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم

وعرف المروءة تعريفاً آخر فقال : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء ، فاذا سنح لك ذكر شيء فاذكره بأحسن اسمائه فان ذلك من المروءة ، وانما المرء بمروءته ، فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه ، واجتناؤه ما يزينه ، وانه لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا ادب لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره . وشتان بين عقل وافر معه خمسون عقلاً كلها وافر مثله وأوفر منه ، ومن عقل وافر لا قادة معه .

وقال فيمن فعل أمراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة ، او خاصم بغير حجة ، او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه ، فان ابتليت بقتال احد او مخاصمته او مصارعته فأحسن الاعداد له ، واعرف مع ذلك عدته وأبصر حجته ، واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك ، فان رأيت تقدماً والا كان التأخر قبل التقدم ، خيراً من التندم بعد التقدم . وفي ذلك أقول شعراً :

اذا ما أردت الأمر فاعرفه كله وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالماً من ندامـة فلا خير في أمر أتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله ، وقوته هي التي تصرعه ، وحجته هي التي تخصمه ، وذلك انه ربما أدلّ فقاتل ، قبل ان يعلم أهو اعدّ ام الذي يقاتله ، وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه ، فاذا هو قد قتل او صرع او خصم ، فلم ينفعه جودة عدته ، ولا قوة حجته ، حين أتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما أتيت الامر من غير وجهه تصعب حتى لا ترى منه مرتقـا
فان الذي يصطاد بالفخ ان عتا على الفخ كان الفخ اعتى وأضيقا

وقال في معرفة الاخوان : انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ، ولن تخبره حق الخبرة ، ولن تجربه حق التجربة ، وان كنتما في دار واحـدة ، حتى تسافر معه ، او تعامله بالدينار والدرهم ، او تقع في شدة ، او تحتاج اليه في مهمة ، فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته ، فانظر اذا كان اكبر منك فاتخذه اباً ، وان كان اصغر منك فاتخذه ابناً ، وان كان مثلك فاتخذه أخاً ، وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن .

وقال : كن من الكريم على حذر ان اهنته ، ومن اللئيم ان اكرمته ، ومن العاقل ان احرجته ، ومن الاحمق ان مازحته ، ومن الفاجر ان عاشرته ، ولا تُدِلّ على من لا يحتمل ادلالك ، ولا تُقبل على من لا يحب اقبالك ، وكن حذراً

كأنك غر ، وكن ذاكراً كأنك ناس ، والزم الصمت الى ان يلزمك التكلم ، فما اكثر من يندم اذا نطق ، واقل من يندم اذا لم ينطق ، واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقك ، وقلة زللك ، وسعة عفوك ، وقلة حيلتك ، ومنفعة قوتك ، وحسن تخلصك .

واعلم ان بعض القول اغمض من بعض ، وبعضه ابين من بعض ، وبعضه اخشن من بعض ، وبعضه الين من بعض ، وان كان واحداً ، فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو اخشن من الحديد ، وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو الين من الحرير ، وان اعظم الناس بلاء وادومهم عناء واطولهم شقاء ، من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق ، فهو لا يحسن ان ينطق ، ولا يقدر ان يسكت ، واعلم ان ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك ، ولا تسأل من لا يجيبك .

* * *

وقال في تضيف الطعام : اذا كنت ممن يؤكل طعامه ، وتحضر مائدته ويؤكل معه ، فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألب الناس في عمله ، وانظفهم في يديه ، ولا تدع اعلامه ان احسن ، ولا انذاره ان اساء ، فان تعتبك عليه خير من تعتب الناس عليك .

واعلم ان لكل شئ غاية ، وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء ، والاكثار من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر ، فانه لا طيبَ اطيب من الماء ، ولو انه المسك وما أشبهه من الاشياء ، وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء اثوابه ، وانما يكون القذر في الحمقى من الرجال والنساء ، وبه يستدل على بلادتهم .

وقال في العقل والادب : اعلم ان العقل امير وان الادب وزير ، فان لم يكن وزير ضعف الامير ، وان لم يكن أمير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف ، فان الصيقل اذا أُعطي السيف اخذه فصقله ، فعاد جمالاً ومالاً وعضداً يعتمد عليه ويُلتجأ اليه ، فالصيقل الادب والسيف العقل ، فاذا وجد الادب

عقلاً نفقه ووفقه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف ، واذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لانه لا يصلح الا ماوجد ، وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بأدنى ثمن ، ومنها مايباع بزنته دراً وزبرجدا ،وذلك على نحو الحديد وجودته او رداءته . وكذلك الرجلان يتأدبان بأدب واحد ، ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة ، وانما ذلك على قدر العقل وقوته في الاصل .

☆ ☆ ☆

ونال في الحكمة : اما ما يسمع من كثير من الحكمة فان أوله شيء يخطر على الافئدة اذا خطر ، وهو اصغر من الخردلة ، وادق من الشعرة ، واوهن من البعوضة ، ثم تحركه الالسنة ، وتنبذه الافئدة ، كما يحاك البُرْد ، وكما يمدُّ النهر ، فيعود اكثر من الكثير ، واوثق من الحديد ، واثمن من الجوهر ، واحسن من الذهب ، وانفع من كليهما ، لانه يزيد في المنطق ، ويذكي الذهن ، ويعين على الابلاغ ، ويتجمل به القائل ، ويتقلب فيه كيف يشاء ، ويختار منه مايشاء ، فينتفع به اللطيف ، وينبل به السخيف ، ويتزيد به الكثيف ، ويتأيد به الضعيف ، ويزداد به الأيد قوة في منطقه ، وبلاغة في كتبه ، فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم ، وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم ، وللكرماء في بشاشتهم ، وللشعراء في قصائدهم ، فاذا كنت ممن يؤلف حكمة ، او يضع رسالة ، او يذكر مهمة ، فلا تكره قلبك ، ولا تكره ذهنك ، فانه اذا اكره كلَّ ووقف ، ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له ، والتأخر عنه على التقدم فيه ، فان الذهن يجم كما يجم البئر ، ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في المداراة : اذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف ، وانت على غير ما يعرفون ، فالزم كثيراً من المداراة ، فما اكثر من دارى ولم يسلم ، فكيف من لم يكن منه مداراة ، وفي ذلك اقول شعراً :

ياذا الذي اصبح لا والداً	له على الارض ولا والدة
قد مات من قبلها آدم	فأي نفس بعده خالدة
ان جئت ارضاً اهلها كلهم	عور فغمض عينك الواحدة

وقال في التفاضل : لا تقل فلان أغنى مني ، وانا احزم منه ، فانه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لا شيء لهم لهلكوا ، ولكن الله عز وجل قال : (أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فأوتي بعضهم عقلاً ، وبعضهم مالاً مع أشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ، ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا ، وانما مثل الرجل ورزقه ، ومثل عقله وأدبه ومروءته وحكمه كمثل الرامي ورميته ، فلا بد للرامي من سهم ، ولا بد لسهمه من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ، ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ، ويصيب به ما بلغ ، ويجوز به ما أصاب والا فلا شيء . فالرامي الرجل والرمية الرزق ، ولا يجمع بينها عقل ولا عز ، ولا شيء من ذلك الا بقدر .

وقال في النهي عن مجالسة أهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء فاني لم ار أحداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمىً ، لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ، ولم أرَ اثنين تكلما فيه الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما النصيحة فلا ، ومن غالط في هذا او مثله فانما يغالط نفسه ، وعليها يُخَبِّط ، واياها يخدع ، او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع .

وقال : اذا قيل لك اي شيء اطول فقل الكلام ، واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام ، لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة ، وقد يكون جوابها الف كلمة واكثر . ولن تدرك الكلام حتى تذره ، ولن تذره حتى تحذره ، وفي القول خطأ كثير ، وبعضه صواب ، وان الصمت منه لأصوب فاترك منه مالا تنتفع بأخذه . وخذ منه مالا تقدر على تركه ، واسجن لسانك كما تسجن عدوك ، واحذره كما تحذر غائلته .

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن ترقى من الخير درجة ، ولن تبلغ منه مرتبة ، ولن تنزل منه منزلاً الا وجدت فيه من يحسدك ، وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما

فانه ان حكم لن يحكم الا عليك ، وان قصد لم يقصد الا اليك ، وان دفع لم يدفع الا حقك ، وفي ذلك أقول شعراً .

ولو كنت مثل القِدح ألفيتَ قائلاً الا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفيت قائلاً الا ما لهذا النصل ليس بصارم

وهذا المعنى مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لو كان المرء اقوم من القدح لوُجد له غامز » (والقدح السهم) .

كنت أود لو اتسع المجال للقول حتى أزيدكم من حكم الحكيم اللخمي العظيم . ومع هذا فقد رأيتم نموذجاً من مواعظه وحكمته ، وتفكيره ارقى تفكير في عصره ؛ هو تفكير عربي بعيد النظر غير متأثر الا ببيئته ، ولا صادر الا عن شرع أمته وادب ملته . ولولا ما ترجم له مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر لنسي اسمه من جريدة رجالنا ، فان ألوفاً من افضل الناس سحب الدهر عليهم ذيل النسيان ونسوا باهمال المؤرخين او مصانعةً منهم لخصوم اولئك العظماء او لأنهم ما أرادوا هم ان يذكروا بشيء وآثروا الخمول على الظهور .

يقول المنصفون من الباحثين في تاريخنا من الافرنج انه لم يعهد لأمة ان اخرجت رجالاً اكثر عدداً من رجال العرب والاسلام ، وان ما عمله الفرد منهم قد يعجز عن انتاج مثله الجماعة ، وانه من المستغرب صدور ما صدر عنهم من بحث ودرس وتفكير في زمن كان العقل البشري يغط غطيطاً كغطيط النائم ، وقد أمست الأمم بعد تراجع المدنية اليونانية والرومانية اللاتينية لا ترى النور الا من سم الخياط ؛ وضعف فيها كل ما يدل على حياة وفكر وعلم وصناعة .

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول

للغة العربية في مصر

أصدر مجمع فؤاد الاول للغة العربية اربعة مجلدات من مجلته . وتفضل فبعث اليَّ بها تباعاً ؛ فقرأتها بامعان واستفدت من بعض ابحاثها . وشكرت لرجال المجمع ما اسدوه الى لغة الضاد من جميل . ولئن كان عملهم دون ما كان العالم العربي ينتظره منهم فالطفرة امر محال ؛ ولا بد لهم في يوم من الايام ان يسيروا على اسهل طريق تؤدي بهم الى بلوغ اهم غرض من اغراض المجمع وهو صنع معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، وصنع معجم عربي تعرف فيه الالفاظ تعريفاً علمياً . ومما قرأته في المجلة انهم اتخذوا قراراً بذلك . لكن عملاً عظيماً كهذا لا يتم بقرار ولا بجهد لجنة او اكثر من لجان المجمع ؛ ولا بالرجوع الى اختصاصي او اثنين او ثلاثة من أساتذة المدارس او العلماء . والطريقة الوحيدة التي تمكنهم من صنع هذين المعجمين في بضع سنوات هي الاستعانة بجميع الاختصاصيين المعروفين في البلاد العربية ؛ ودعوة كل منهم الى وضع معجم صغير في الالفاظ المتعلقة بموضوعات اختصاصه ؛ ثم جمع ثمار هذه الجهود في المعجمين المبحوث عنهما . وهذه الطريقة هي التي اتبعها ويتبعها الاوربيون في وضع معاجمهم سواء أكانت اغراضها علمية ام لغوية . فمعجم لاروس المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من الاساتذة والعلماء . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وزاد عدد العلماء الاختصاصيين الذين ساهموا في معجم لاروس الزراعي (وهو معلمة زراعية) على ٧٥ رجلا . وعددت ٣١ عالماً اشتركوا في صنع معجم بارال الزراعي الخ .

ورب قائل يقول انه تسنى لكثير من الافراد ان يطلع واحدهم على الناس بمعجم لا بأس به . وهذا القول صحيح ؛ فبعض الافراد من الاوربيين مثلاً اخرجوا معاجم مقبولة لانهم نقلوا او لخصوا جهود مئات من الاعلام الذين سبقوهم الى ضبط

الالفاظ والى تحديد مدلولاتها تحديداً علمياً ؛ والى بحث الموضوعات العلمية على أدق الاساليب الحديثة ٠

اما نحن فاننا مضطرون الى خلق عمل لم يسبقنا اليه احد ٠ ولهذا يستحيل على فرد او على بضعة افراد منا ان يضطلعوا به ٠ والدليل على ذلك ان المعاجم العربية الحديثة كمحيط المحيط واقرب الموارد والمنجد والبستان وغيرها ليست سوى نسخ مشذبة من المعاجم الاصلية ٠ والفاظ هذه المعاجم الجديدة لم تعرف الا بمثل ما عرفت به في الامهات المذكورة ؛ اي ان كثيراً من هذه التعريفات سقيمة لا تصلح لزماننا هذا ولا تطابق تعريفات الكلم المماثلة في معاجم اللغات الاوربية ٠ اما المعاجم الفرنسية العربية او الانكليزية العربية (ولا حاجة الى سرد اسمائها) ففيها من الاغلاط مالا يعد ولا يحصى ٠ وما السبب في ذلك الا كون مؤلفيها تصدوا الى البحث عن علوم لا صلة لهم بها ولا بألفاظها العربية ٠ فهذا محام يقحم في معجمه الفاظ الطب ؛ وذاك طبيب يتصدى الى الالفاظ الزراعية ؛ وذلك ناسك يتناول الفاظ العلوم المختلفة الخ ٠ فهل يستغرب بعد هذا ان يجد المدقق في معجماتهم غلطات لا عداد لها ؟

ومجمع مصر يقر في كل سنة بضع مئات من المصطلحات معظمها معروف ٠ ولكن ماهي بضع المئات من الالفاظ وأمامنا منها ألوف مؤلفة ؟ ثم ان إقرار المتعارف من تلك المصطلحات ليس من الامور الصعبة ٠ والصعوبة انما تكون في ايجاد اصلح الالفاظ العربية للمعاني العلمية الدقيقة ٠ وليس كل من اطلع على قواعد لغتنا الضادية او على الفاظها الكثيرة بقادر على اتقان هذا العمل ٠ ولا يتقنه الاختصاصي بأحد العلوم اذا كان جاهلاً بأسرار العربية ٠ وقوامه ان يجتمع في المتصدي له اختصاص بعلم من العلوم ومعرفة واسعة بلسان العرب وبألسنة العلوم الاوربية ٠ وركنه الاسامي اطلاع كاف على أصول الكلم الفرنجية والعربية ؛ وعلى الطرائق المثلى في نقل المصطلحات العلمية الى اللغة الضادية ٠ وهذه الصفات لا تتم لعالم اذا هو لم يكن ميالاً بطبيعته الى متابعة هذه الموضوعات المضنية ؛ واذا هو لم يسلخ سنين طوالاً من عمره في تحري اجود المصطلحات لدقائق المعاني ٠

انعمت النظر في الفاظ علوم الأحياء التي نشرت في المجلدات الأربعة من مجلة مجمع فؤاد الاول ، (وفيها ما يعد من العلوم الزراعية الداخلة في نطاق اختصاصي) فألفيت فيها هنات يجب الاشارة اليها ومصطلحات اعتقد أن غيرها أجود منها . وهاكم بعضها :

(١) — لفظة Biologie فقد ترجمت في الجزء الاول من مجلة المجمع (ص٦٥) بعلم الحياة . ثم عدل في الجزء الثاني (ص ١٣٦) عن علم الحياة الى علم الاحياء وهو التعبير الذي اقره المجمع دون ان يذكر سبباً لاطراحه التعبير الاول . واذا تناولنا اي معجم من المعاجم الفرنجية نجد فيه ان لفظة بيولوجيا من اصلين يونانيين وهما Bios اي حياة و Logos اي بحث وموضوع ، وان بيولوجيا معناها علم حياة الاجسام المعضّاة . فالترجمة المضبوطة لفظاً ومعنى لبيولوجيا هي اذن علم الحياة لا علم الاحياء . ولا نرى جوازاً لقولنا علم الاحياء الا الرغبة في ايجاد صلة بينه وبين لفظة أحيائي بمعنى Biologiste تمييزاً لهذه اللفظة الاخيرة عن حيوي بمعنى Biologique ولكن هذه الصلة ليست كبيرة الشأن . وبامكاننا ان نقول علم الحياة واحيائي وحيوي ترجمة للالفاظ الفرنسية الثلاث المذكورة دون التباس . وأتذكر انني كنت في دار المقتطف في احدى رحلاتي الى مصر ، فسألني صديقي الاديب الالمعي فؤاد صروف هل الاصلح ان نقول علم الحياة ام علم الاحياء ؟ فأجبته بأن علم الحياة هو الترجمة الصحيحة للفظة بيولوجيا . وقد خالفت في ذلك رأي العلامة امين باشا المعلوف (عدد نيسان ١٩٣٦ من المقتطف) وبرهاني على ذلك ما ذكرته عن المعنى الاصلي لكلمة بيولوجيا وعن متناولها اليوم ، وهي أبحاث لا تتعدى بعض قوانين الحياة ومظاهرها . اما الاحياء فلها علوم عدة كعلم النشوء وعلم الاجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الاعضاء وعلم تربية الدواجن وعلم الإحاثة الخ .

(٢) — لفظة Dégénération ومعناها الانحطاط والدّناءة . فقد جاء في المجلد الاول انها الاستحالة . وكنت في مصر عندما صدر هذا المجلد فنشرت في جريدة

المقطم (عدد ١٢ نيسان « ابريل » سنة ١٩٣٥) مقالاً انتقدت فيه عدداً من الالفاظ التي لم تكن لجنة المجمع مصيبة في وضعها · ومن جملتها اللفظة التي نحن في صددها · وقلت يومئذ ان الكلمة الفرنجية تتضمن معنى الانحطاط والدناية · اما الاستحالة فلا تفيد هذا المعنى فالشيء يجوز ان يستحيل دون ان ينحط لكنه لا يجوز ان ينحط دون ان يتحول ·

فلما صدر المجلد الثاني من المجلة وجدنا فيه ان المجمع قد اطرح لفظة الاستحالة واستبدل بها لفظة التنكُّس · وهو مطاوع نكَّس · وفي القاموس نكَسَه قلبه على رأسه كنكّسه · وفيه : نكَس الطعامُ داءَ المريض أعاده · وفي الاساس : نكستُ الشيءَ قلبته · وفي التاج : النكس يرجع الى قلب الشيء ورده وجعل اعلاه اسفله ومقدمه مؤخره

ويتضح من ذلك ان النكس والتنكيس قلب الشيء وجعل اعلاه اسفله · وهما يتضمنان معنى الدناية اذا استعملا مجازاً كما في القرآن الكريم « من نعمره ننكسه في الخلق » ولكن ما هي الحكمة في ترك المجمع للفظتي الانحطاط والدناية وهما معروفتان ؟ والاولى منها تستعمل في الكتب العلمية · وتوجد في المعاجم الفرنجية العربية امام الكلمة الفرنجية المذكورة · ومن معانيها الهبوط · اما الثانية فمن دَنِيَ يَدْنَى دَنا ودَناية اي اصبح ضعيفاً وساقطاً · وهي في معناها اقرب من غيرها الى اللفظة الفرنجية ·

(٣) — الإبريج والمِمْخَضة · جاء في الصفحة ٤٥ من المجلد الاول الإبريج آلة يمخض بها اللبن لاستخراج السمن منه · ونرى ان تخصص بالآلات الفنية المستحدثة كما في مدارس الزراعة والمصانع · والممخضة تخصص بما يستعمله القرويون في استخراج الزبد ·

وفي المجلد الثاني (ص١٠٩ و ١١٠) اقر المجمع معنى اللفظتين فجعل الاولى أي الابريج تنظر الى Baratte قال : « وقد خص المجمع الابريج بالآلة الحديثة التي

تستخدم لمخض اللبن (كذا) في المصانع الكبيرة وفي مدارس الزراعة ونحوها». اما الممخضة فأوجد المجمع لها لفظة افرنسية من عنده وهي Barate primitive (كذا) قال: (... الاداة المنزلية التي بها يستخرج الزبد من اللبن واكثر ماتشاهد في بيوت سكان القرى الخ.)

قلت عندما قرأت الفاظ المجلد الاول كتبت في المقطم عن الابريج ما يلي «يلوح لي ان واضعي هذه اللفظة يجهلون الآلات الحديثة التي تستعمل في صناعة الزبد. فهذه الآلات ثلاث وهي أولاً الآلة المسماة Ecrémeuse وبالعربية المفرزة والفرّازة وهي تفرز الكثأة اي القشدةعن الحليب. ثانياً الآلة المسماة Baratte وهي المِمخض والممخضة وبها يفرز الزبد عن المخيض. ومن المعلوم لدى ارباب الزراعة ان اشكال الممخضات كثيرة وان منها ما يستعمله البدو والفلاحون ولها اسماء لا يفيد ذكرها بهذه العجالة. ثالثاً الآلة المسماة Malaxeur وهي المعجنة تجرد بها الزبدة مما يكون عالقاً بها من سكر اللبن والاملاح والجبنين. وبعد العجن توضع الزبدة في القوالب المعروفة. فيتضح اذن ان الآلات الفنية المستحدثة لا تحتاج الى لفظة الابريج. ولا حاجة أيضاً الى الارزيز اي الهاتف والتلفون، من الوزن نفسه»[1].

ويتضح من ذلك ان الممخض والممخضة تنظر الى Baratte قديمة كانت امحديثة. ومن اسماء الماخض القديمة السِقاء والشَكْوة والنِحي وغيرها وكلهن عربيات فصيحات. وهي تدل على ادوات معروفة تستعمل في مخض اللبن في القرى وفي القبائل البدوية كما تستعمل في غير مخض اللبن.

وغاط المجمع بقوله «وقد خص المجمع الابريج بالآلة الحديثة التي تستخدم لمخض اللبن»، فالآلة الحديثة لا تستعمل في مخض اللبن بل في مخض الكَثْأة والطَثْرة Crème

(١) واضع لفظة الارزيز للتلفون العلامة الشيخ أحمد الاسكندري (١١١ من المجلد الاول) وكان رحمه الله من اكثر العلماء اطلاعاً على اسرار اللغة العربية، لكنه كان عدواً ازرق للتعريب. وقد رفض مجمع مصر هذه اللفظة واحتفظ بلفظة الابريج الفارسية الثقيلة.

وهي ذلك الضرب من القشدة الذي يخرج من المفرزة Ecrémeuse . وغلط أيضاً برسمه Baratte الفرنسية بتاء واحدة والصحيح بتائين وهي غلطة مطبعية .

٤ — الجنس والشِق . في الفرنسية كلمة يميزون بها الذكور عن الاناث وهي كلمة Sexe فأجدادنا العرب كانوا يستعملون لهذا المعنى لفظة الجنس فيقولون جنس الذكور وجنس الاناث . وكانوا يطلقون لفظة الجنس أيضاً بلا تمييز على بضع حلقات من حلقات تصنيف الاحياء اي على Variété و Espèce و Genre وغيرها . وفي أيامنا هذه اجمعت الآراء على استعمال كلمة الجنس بمعنى Genre ولم يشذ مجمع مصر عن ذلك (م ٤ ص ٥٤) وكان من المنتظر ان يقر المجمع المشار اليه لفظة اخرى تفيد معنى Sexe فاذا به يقر لفظة جنس لهذا المعنى ايضاً (م ٢ ص ١٨٢) وهكذا صار للجنس معنيان مختلفان . فاذا نسبت اليه وقلت « جنسي » فأنت لا تدري أمعناه Générique ام Sexuel . وحار المجمع بهذه النسبة فأقر لفظة تزاوجي بمعنى Sexuel ومعناه اصبحت لفظة التزاوجي تفيد معنى النسبة الى الجنس . ولكن التزاوجي هي النسبة الى التزاوج ، والتزاوج شيء والسكس Sexe شيء آخر .

والذي نعلمه ان بعض اصحاب المعاجم الحديثة وبعض الكتاب النبهاء اصطلحوا على لفظة شِق للدلالة على Sexe وان هذه الكلمة أخذت تشيع . وهي حسنة وموافقة ، ولا يخشى في استعمالها من الالتباس ، اي انها لا تستعمل اليوم لمعنى آخر مشهور . والنسبة اليها شِقي . ولا يُحتجنّ بأن معنى الشق في كتب اللغة لا يفيد معنى الكلمة الفرنسية تماماً . فنحن انما نوجد اصطلاحات عربية لمعان علمية . فاذا تقيدنا بحرفية الفاظ المعاجم ومعانيها يصبح عملنا ضرباً من العبث وتظل لغتنا في مؤخرة اللغات الحية .

والمسوغات التي جعلت مجمع مصر يقر الشقة بمعنى Appartement (وهو قرار حسن) هي نفسها التي تجيز له استعمال الشق بمعنى سكس [1]

(١) كانت لجنة علوم الأحياء وضعت لفظة بعل بمعنى Sexe (م ١ ص ٢٩٧) ونسبت اليها أو إلى جمعها فقالت بعولي فلم يقرها المجمع .

(٥) — الطاقة · وضع العلامة يعقوب صروف لفظة الطاقة بمعنى Energie وهي ما برحت تذكر في المقتطف منذ سنين · واقتبسها الكتاب في كتبهم وفي مقالاتهم فأصبحت مألوفة متداولة · وكان على مجمع مصر ان يقرها ما لم يثبت سقمها وما لم يجد لفظة ترجحها · وبدلا من ذلك رأينا الكتاب في مجلة المجمع المذكور يترجمون اللفظة الفرنسية تارة بالاقتدار (ج ١ ص ٧٤) وطوراً بالنشاط (م ١ ص ٨٧) · ورأينا المجمع يقر المقدرة والاقتدار (م ٢ ص ١٤٧) دون تعليل ·

ولم أتمكن من معرفة الاسباب التي حملت المجمع على اطراح لفظة الطاقة فهي في كتب اللغة الاقتدار بعينه · ولا يحصل في استعمالها التباس كالذي يحصل في استعمال الفاظ المجمع المذكورة · ثم ان لها رجحان التداول منذ سنين ، وهو مما يجب ان يحسب له حساب · واسترعى نظري ان رئيس تحرير المقتطف لبث يستعمل كلمة الطاقة وحسنًا يفعل فعلى المجمع ان يعيد النظر في قراره ·

٦ — الكأس والتُويج · من اجزاء الزهرة المعروفة وريقات خارجية يسمى مجموعها Calice وأخرى داخلية يسمى مجموعها Corolle فأولى اللفظتين الفرنسيتين من أصل يوناني Kalyx ومعناها الكأس · والثانية من اللاتينية Corolla تصغير Corona اي التاج فيكون معناها التويج · وقد ترجموا في مصر هاتين الكلمتين في بدء النهضة الحديثة ترجمة مضبوطة فقالوا الكأس والتويج · وهما لفظتان جميلتان لا غبار عليها يجدهما الانسان في جميع كتب النبات والزراعة في البلاد العربية كافةً وفي الجمهورية التركية ·

وشاءت لجنة العلوم المتعلقة بالحياة والاحياء في مجمع مصر (وليس فيها اختصاصي بالنبات على ما أعلم) ان تخالف الاجماع فسمت الكأس كِمًّا والتويج نَوْرة (ج ١ ص ٩٩) فلما وقع نظري على ذلك كتبت في المقتطف ان لفظتي الكم والنورة لا تدلان على مدلول الكلمتين الفرنجيتين تماماً · فالاولى تنظر الى Périanthe والثانية معناها الزهرة لا هذا الجزء من الزهرة · وذكرت ان لفظتي الكأس والتويج منتشرتان في المدارس العربية والتركية فلا يجوز مسهما بلا سبب ·

وصدر المجلد الثاني من مجلة المجمع وفيه ان المجمع اقر لفظتي الكم والنورة ·
وعلى هذا يكون قصارانا لفت نظر المجمع المشار اليه الى المثل المعروف «اذا
أردت ان تطاع فسل ما يستطاع » فاللغة لا تخدم باطراح مصطلحاتها المألوفة الجيدة
حتى عندما يؤتى بمصطلحات اجود منها · فالمألوف الشائع الحسن يجب ان يتمسك به ·
ولا يجوز لمجمع مصر ان يلقي حبل الذين يسميهم اساتذة ومستشارين على غاربهم
في أمور كهذه ·

(٧) — السَّدَاة · ترجمت بها كلمة Etamine الفرنسية في بدء النهضة الحديثة ·
وهذه الكلمة من اللاتينية Stamina جمع Stamen بمعنى السداة في النسيج ·
وقد استعملها بلينيوس قديمًا للعضو الذكري المعروف في زهرة الزنبق ، فاقتبسها
الفرنسيون وغيرهم واطلقوها على العضو المذكور بعد ان صقلوها حتى تسيغ في لغاتهم ·

وترجمت هذه اللفظة الى العربية ترجمة صحيحة · وشاعت كلمة السداة في الكتب
النباتية في جميع البلاد العربية · فاذا بلجنة مجمع مصر تضع لجزء الزهرة المبحوث عنه
لفظة ُجمَّاح (م ١ ص ٩٩) واذا بالمجمع يعدل عن هذه اللفظة ويقر مكانها الإبرة
دون ان يشير بكلمة الى سقم الجماح ولا الى سبب اطراح السداة التي كنت نبهته
اليها في مقالي في المقطم ·

وبعد هل للابرة رجحان على السداة علميًا ولغويًا ؟ فالابرة في كتب اللغة
لا تطلق على العضو الذي نتكلم عليه · وهذا العضو مكون من جزئين احدهما
يسمى Anthère وهو المئبر وفيه اللقاح Pollen · والثاني يسمى Filet وهو خيط
شبيه بالابرة · ومما يسهل ادراكه على الملم بعلم النبات ان لفظة الابرة تصلح لتأدية
معنى الخيط المذكور ، لكنها لا تصلح لتأدية معنى الجزء المهم الاصلي من الايتامين
وهو المئبر اي Anthère · والدليل على ذلك ان المجمع اطلق أيضًا لفظة الابرة
على حامل السمة في عضو التأنيث من الزهرة · واسم هذا الخيط او القلم الذي يحمل
السمة Style (م٢ص٧٣ امادة Pistil) · وفي الحقيقه يمكن استعمال الابرة امابمعنى
الخيط الذي يحمل المئبر واما بمعنى القلم الذي يحمل السمة · ولا يجوز استعمالها بمعنى السداة اي

ايتامين . وأما اطلاق الابرة على السداة وعلى حامل السمة معاً فهو خبط وتشويش ليس غير .

والخلاصة لا يجوز وضع الابرة مكان السداة . والسداة ترجمة صحيحة للكلمة الفرنجية . وهي شائعة تدرس في المدارس العربية منذ عدة سنين .

(٨) — الوَزِيم والمِدَقَّة . يسمى عضو التأنيث في النبات Pistil وهي من اللاتينية Pistillus ومعناها Pilon اي المدقة . وواضعها لهذا الجزء من الزهرة العالم النباتي الفرنسي طُرْنوفُرط في القرن السابع عشر للميلاد . وقد سمي العضو المذكور بهذا الاسم لانه يشبه المدقة .

وترجمت الكلمة الفرنسية بالمدقة في النهضة الحديثة وشاعت هذه اللفظة العربية واستعملت في الكتب المدرسية . وكان على مجمع مصر ان يقرها او يقر لفظة الوزيم التي نبهه اليها العلامة امين باشا المعلوف . فالوزيم في مستدرك التاج الطلع يشق ليلقح ثم يشد بخوصة (انظر المقتطف عدد نيسان ١٩٣٦ ص ٥٣٨) وهذه اللفظة تصلح الدلالة على مجموع اعضاء التأنيث في الزهرة اي Gynécée واشتق مجمع مصر لفظة المتأبَّر بدلاً من المدقة والوزيم . ولم يكن مصيباً في ايجاد هذه اللفظة مع وجود ماهو أصلح منها من حيث صحة الترجمة والاشتهار .

(٩) — الجُشْ والكُشْ والعَطِيل : مما نبه اليه الدكتور امين باشا المعلوف الجش والكش بمعنى Androcée اي مجموع أعضاء التذكير . وسماه مجمع مصر المئبر على حين ان المئبر يجب ان تكون ترجمة لكلمة Anthère كما اشرت اليه . وجاء في المخصص « م ١١ ص ١١٠) الكش الذي يلقح به النخل ، والعطيل ما لقحت به النخلة من الفحال . وفي القاموس الكش الذي يلقح به النخل . قلت من الواضح ان المقصود عراجين الازهار الذكرية التي تقطع من الفحال وتحمل الى النخلة فينثر لقاحها على الازهار الانثوية في الطلعة . وهذا العمل يسمى الابارة .

(١٠) — البَوْغ والغُبَيرة . اطلقت لجنة العلوم المتعلقة بالاحياء لفظة هَبْوة على ما يسمى Spore (م ١ ص ٩٦) فكتبت في المقطم ان الدكتور بوست كان

وضع كلمة غبيرة لهذا المسمى (واحدة تصغير الغبار) وان اللفظتين من التراب ، وانهم لو قالوا هَباءة لكانت اصلح من هبوة لأن الهبوة الغبرة ، اما الهباءة فقطعة واحدة من الهباء والفرق واضح .

ولم اكن اعرف يومئذ انه يوجد في العربية كلمة لها معنى الكلمة الفرنسية وهي البوغ . فقد جاء في اللسان البوغ الذي يكون في اجواف الفقعة . وجاء البوغ في المخصص بهذا المعنى . وقد اقر مجمع مصر هذه اللفظة الموافقة (م ٢ ص ١٨٣) لكنه غلط في رسمها او غلطت المطبعة في رسمها فجعلتها مضمومة الباء والصحيح فتحها فعلى المجمع ان يشير الى ذلك .

وسمى بعضهم البوغ بزرة ذاهبين الى ان الكلمة الفرنسية من اليونانية Spora بمعنى البزرة . ولكن لهذه الكلمة العربية معنى آخر مشهوراً ، فلا يجوز اطلاقها على المسمى الذي نتكلم عليه منعاً للالتباس .

(١١) — فِلاحة البساتين . زِراعة البساتين : ذكر الشارحون في تعريف البزرة (م ٢ ص ١٨٠) كلمة Horticulture وقالوا انها علم الزراعة والاشجار . وقد غلطوا في قولهم هذا . فالكلمة الفرنسية هي فلاحة البساتين وزراعة البساتين . وهذا هو معناها الاصلي لغوياً ومعناها العلمي عند أرباب الفلاحة . وهي من اللاتينية Hortus اي البستان وCultura اي الحرث والزرع والزراعة . ويتناول هذا العلم زراعة البقول والأزهار وأشجار الفواكه وأشجار التزيين . وكل منها يعد اليوم علماً مستقلاً له الفاظه ومصطلحاته . ولكنها جميعاً يعبر عنها بكلمة Horticulture ولا يدخل في نطاقها علم الزراعة Agriculture لأنه يتناول الحبوب ونباتات زراعية أخرى . أما زراعة الشجر وحدها فهي بالفرنسية Arboriculture وهي ثلاثة فروع او علوم : زراعة الاشجار المثمرة اي اشجار الفواكه ، وزراعة أشجار التزيين (وهما فرعان من زراعة البساتين كما ذكرت) وزراعة الحراج اي علم الحراج Sylviculture وهو من اوسع العلوم الزراعية .

(١٢) — النُسْغ والطَلّ : في شرح مادة (العرق الجاني) (م ٣ ص ١٩٠) اصطلاحان اخطأ الشراح في ذكرهما وهما العصارة الفجة والعصارة المغذية . فالماء الذي يحتوي املاحاً ذائبة والذى تمتصه الجذور يسمى نُسغاً وَطلاً . وهو النسغ الناقص او الطل الناقص قبل ان تنضم اليه المواد التي تحصل بتأثير الخَضْب (اليخضوب) في الاوراق . ثم هو النسغ الكامل او الطل الكامل بعد ان يكمل في الاوراق فيهبط منها ويتوزع على اعضاء النبات فيأخذ منه كل عضو مايلزمه من العناصر الغذائية .

ولفظة النسغ الفصيحة الصحيحة موجودة في جميع كتب النباتات والزراعة . أما الطل بهذا المعني فأول من نبه اليه الاستاذ اللغوي السيد سليم الجندي أحد أعضاء مجمعنا في دمشق . والنسغ بالفرنسية **Sève** والنسغ الناقص هو **S. brute** و **S. ascendante** وترجمتهما حرفياً النسغ الفج والنسغ الصاعد (لأن النسغ الناقص يصعد من الجذور الى الاوراق حيث يكتمل) . اما النسغ الكامل فيسمونه **S. élaborée** و **S. descendante** اى النسغ المهيأ والنسغ الهابط .

والدُمّاع هو النسغ أيضاً اي ما يسيل من الغصن اذا قطع . وقد جعلتُ هذا اللفظ في معجمي امام **Pleurs** الفرنسية المستعملة بهذا المعنى . ويتضح من كل ذلك انه لا مجال لاستعمال العصارة بمعنى النسغ .

(١٣) — كثير من الكلم الفرنجية لها معنيان الاول للتعدي والثاني للمطاوعة . ووجدنا مجمع مصر يكتفي باحدهما وهو نقص لا يجوز السكوت عنه . مثاله كلمة **Reproduction** فقد وضع المجمع لها كلمة التناسل ، على حين ان لها معنيين الإنسال والتناسل او التوليد والتوالد . وكلمة **Assimilation** سماها التمثُّل وهي في الحقيقة التمثيل والتمثل . وكلمة **Multiplication** قال انها التكاثر والصحيح التكثير والتكاثر . وهكذا كل ما كان من هذا القبيل . وترجمة هذه الكلمات بمصدر اللازم او بمصدر المتعدي يتوقف على ادراك معاني الجمل الفرنسية التي تستعمل فيها

الكلمات المذكورة [١] . وقد كان الدكتور امين باشا المعلوف نبه المجمع الى كلمة Assimilation (عدد ابرايل ١٩٣٦ من المقتطف) والى ما يشابهها من الكلمات .

(١٤) — خلط الشراح معنى كل من الكلمتين Multiplication و Reproduction (م ٢ ص ١٦٧ و ص ١٧٧) وجعلوهما بمعنى واحد خلاصته تولد احياء جديدة بالتناسل . وفاتهم ان جميع العلماء الفرنسيين يفرقون بين الكلمتين اذا استعملتا في النبات . فالكلمة الاولى اي التكثير والتكاثر يعرفونهابقولهم انها تكثير الافراد النباتية بواسطة جزء من النبات المراد الاحتفاظ به . ومن هذه الاجزاء النباتية العكيس والطعم والفسيلة والشكير واشباهها . ويقولون ان الفرق بين التكثير والتوليد (والثاني Reproduction) كون الاصل في الثاني يكون بيضة (بزرة او بوغا) دائماً . والخلاصة انك اذا عكست الغصن (الترقيد ، التدريخ) أو طعمته او قطعت الفراخ والعُقّان والشُكُر والأرآد عن الأم وغرستها فعملك هذا هو التكثير . اما اذا بذرت البذار فعملك يسمى التوليد [٢] . وما من مؤلف فرنسي يخلط اليوم معنى الكلمة الواحدة بمعنى الكلمة الثانية . وتعريف التكثير والتكاثر الذي ذكرته مدون في معجم لاروس الزراعي فليراجعه من يشاء ، او ليراجع أي كتاب فرنسي حديث في النبات او الزراعة او علم اصلاح النسل . اما الكتب القديمة من معاجم وغيرها فلا يعول عليها في هذا الباب لأن التمييز بين الكلمتين بالفرنسية شيء حديث على ما أعتقد .

وقد عرّف الشراح في مجلة مجمع مصر كلمة التكاثر بقولهم « ازدياد الحيوانات والنباتات بالتناسل ، وخاصة اذا كان العدد المنتج كثيراً » ويتضح مما ذكرته ان في هذا التعريف هنات ، منها أن المجمع قصر التكاثر على طريقة التناسل ، على

(١) اذا قيل مثلاً Multiplication par greffage فهوالتكثير بالتطعيم لا التكاثر بالتطعيم لأن التطعيم عمل يأتيه الانسان في الاعم من الحالات . وهكذا تقول التكثير بالفراخ لا التكاثر بها وهو M.par rejeton . اما اذا قيل M. naturelle فمعناه التكاثر الطبيعي لا التكثير الطبيعي ، لأن المراد تكاثر النبات طبيعياً بمثل سوقه او اصوله الارضية . (٢) وفي الحيوان اذا انشطر المكروب الحيواني شطرين فهو التكاثر اما اذا تسافدت الغنم مثلاً فهو التناسل

حين ان التكاثر يكون بغير التناسل ، اي انه يحصل بانفصال جزء من النبات كالاجزاء التي أشرت اليها ، كما يحصل بانقسام ذوات الخلية الواحدة من النبات والحيوان . اما التناسل فأساسه بيضة او بزرة ليس غير .

وأما قولهم « وخاصة اذا كان العدد المنتج كثيراً » فجملة لم أفهم لها معنى .

(١٥) — المكروب والجرثومة والحُيَيّ : من المعلوم ان لفظة المكروب تعربت منذ زمن بعيد ، وانها اصبحت معروفة حتى في أوساط العامة . وترجمها الترك بلفظة جُرثومة . واقتبسناها عنهم في مدارس الشام فقلنا جراثيمي وجرثومي وعلم الجراثيم لما ينظر اليها من الالفاظ الفرنسية المعروفة

وربما اعترض معترض على الجرثوم والجرثومة بقوله ان لها معنى آخر في كتب اللغة ، واننا قد نطلقها على ما يسمى Germe بالفرنسية وهو ما أقره مجمع مصر . ولو فرضنا ان هذا الاعتراض وجيه في ذاته فما هو اعتراضنا على كلمة المكروب لغوياً وذوقاً وعرفاً ؟ انني لا أرى غباراً على هذه الكلمة الا اذا صرفنا النظر عن التعريب بتاتاً وهو أمر محال .

وقد كان من صواب الرأي اقرار كلمة المكروب . لكن مجمع مصر وضع لمسماها كلمة حُيي تصغير حي . وهي كلمة ثقيلة على السمع تكاد النسبة اليها تكون من المستحيلات لثقلها . فليتصور القارئ حالة أستاذ المكروبات في معهد الطب او في مدرسة الزراعة وهو ينسب الى حُيي في كل بضعة اسطر من درسه ، اي ليتصور تتابع الياءات في قوله مثلاً (الامراض الحييية) .

هذه لفظة لا أظنها خلقت لتعيش . ولو سألنا أساتذة الطب والزراعة والنبات والحيوان في الاقطار العربية عن رأيهم فيها لأجاب تسعون في المئة منهم انهم يرجحون عليها لفظة المكروب المعربة . أما الادباء وهم في نظري أدق تذوقاً للالفاظ من العلماء ومن اللغويين ، فلا أعتقد ان فيهم واحداً يرجح الحيي على المكروب اوعلى الجرثومة .

(يتبع) مصطفى الشهابي

قصور الأمويين

في الديار الشامية

امتاز تاريخ دولة بني أمية بغرام رجالها بالعمران وحب البنيان فبلغت الحضارة الاسلامية في عهدهم غاية بعيدة . وفي الكتب الادبية والتاريخية اشارات الى ماشيده الخلفاء وعمالهم من المدن والجوامع والقصور والطرق والقناطر والسدود التي ازدهرت بها البلاد الاسلامية عامة والقطر الشامي خاصة . فجاءت خير شاهد على ذاك الماضي المجيد وكان على قصره من أزهر العصور الاسلامية وأبعدها شأواً في المدنية والحضارة . وهذه الظاهرة هي في الغالب أثر من آثار اليسر والرخاء .

بدأ هذا الميل في خلافة عثمان (رضه) فبنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر [1] وسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنوا القصور في مكة والمدينة والبصرة والكوفة والفسطاط والاسكندرية ولا غرابة ان سلك الامويون هذه السبيل بعد ان وطدوا دعائم الدولة العربية الفتية في الشرق والغرب وبسطوا سلطانهم على البحار وسيطروا على الاسواق التجارية التي درت عليهم موارد عظيمة ومُلأت خزائن الدولة بالاموال التي حملت اليها من الجبايات وموارد الاقطاعات والمكوس فأغتنت بها الدولة وأثرى معها الافراد فاندفعوا الى البذخ والترف ونافسوا في هذا المضمار الروم والعجم فخلفوا آثاراً تغنى بها السلف وتفاخر بها الخلف .

لم يتصل بنا من أخبار آثار بني أمية الا النذر اليسير بعد ان طرق عليها تبديل كثير ومن آثارهم ماهو معروف الى يوم الناس هذا وينتفع به المسلمون كجامع بني أمية بدمشق وجامع حلب [2] والمسجد الاقصى في بيت المقدس وجامع المدينة المنورة وجامع قرطبة في تونس . ومنها ما دثر رسمه وحفظ اسمه كقصورهم في دمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص : ٦٣٣ (٢) خطط الشام للاستاذ كردعلي ج ٥ ص : ٢٦٦ — ٧٨٠

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم   قفراً سوى الذكر والآثار ان ذكروا

وهنالك طائفة من الابنية أغفل ذكرها وجهل وجودها فأظهرتها المصادفات والتنقيب الأثري ولولا ذلك لبقيت مدفونة مهملة لا ذكرى تحييها ولا اطلال تنعيها ·

بالغ الأمويون في نفقات البناء حتى أتهمهم خصومهم بالاسراف والجور على المكلف وافقار بيت المال ومنع المستحقين أعطياتهم · وهذا ما حمل يزيد بن الوليد — لما بويع بالخلافة — ان يقطع على نفسه عهداً أن «لا يضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا يكري نهراً» [1] ان لم يصلح ما عابوه على أسلافه ·

وكان جميع من ولي الأمر من بني أمية ينزلون دمشق إلا مروان فقد نزل حران من أرض الجزيرة [2] ولكن كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدون فينزلون البرية وشيدوا لهذه الغاية منازل ومساكن يحاكي بعضها أعظم القصور وافخمها ينفرون اليها في بعض الفصول ترويحاً عن النفس بالصيد والقنص او هرباً من وباء او طاعون ·

وقد نقل الينا ان يزيد بن معاوية مات في حوارين [3] وجاءت البيعة لمروان بن الحكم وهو مقيم في قصره بالجابية [4] وان عبد الملك ينزل قنسرين [5] وروي عن حماد الرواية بأنه أتى الوليد وهو في البخراء [6] حيث قصر النعمان بن بشير الانصاري وهي مما يلي البرية بين تدمر ودمشق كما انه كان ينزل في الربيع بأباير [7] بالبلقاء حيث وفد عليه ابن ميادة وانشده :

لعمرك اني نازل بأباير   لصوأر مشتاق وان كنت مكرما

أبيت كأني أرمد العين ساهر   اذا بات أصحابي من الليل نوما

وتوفي الوليد بن عبد الملك بدير مران من ضواحي دمشق [8] وبويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وهو بالرملة [9] وتوفي بدابق وكان له فيها منزل الخلافة · وتوفي

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج٥ص: ١٠٨ (٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص: ٢٨١
(٣) مروج الذهب ج ٢ ص : ٨٥ (٤) تاريخ الكامل ج ٤ ص : ٥٨ (٥) تاريخ الكامل ج٤ص: ١١٦ (٦) الاغاني ج ٢ص٦٣ (٧) الاغاني ج٢ص : ١٠٤ (٨) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٣ (٩) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٤

عمر بن العزيز بدير سمعان ودفن فيها[١] والمعروف ان هشاما قد جدد الرصافة وسكنها وأتته الخلافة وهو مقيم فيها[٢] كما انه بنى قصراً في القطيفة[٣] وكان لأم حكيم زوجة هشام قصر ببرج الصُّفَّر جنوبي دمشق . وكان ينزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام حيث توفيت جاريته حبابة فيما قيل[٤] ومن منازله أيضاً الموقر وهو حصن بالبلقاء رممه وزينه وجعله من القصور الجميلة وهدمه بنو العباس . قال ابن نخيلة يمدح بني العباس :

وامست الانبار داراً تعمر وخربت من الشآم ادؤر

حمص وباب التين والموقر ودمرت بعد امتناع تدمر

وكان ينزل الوليد بن يزيد بالاغدف من عمان[٥] والازرق بالاردن[٦] وقتل بالبخراء . وكان للعباس بن عبد الملك قصر في حمص هدمه أهلها انتقاماً لمقتل الوليد . وورد ذكر منازلهم في الزيزاء وفدين والابيض والقسطل والزيتونة والصنّبر وبطنان حبيب[٧] واسيس . وتؤيد ما سردنا من الاخبار وغيرها تعدد هذه المنازل والقصور في البلاد الشامية وسنحصر بحثنا فيما اتصل بنا عنها من الشواهد والوثائق التي تؤيد صحة الخبر وتحي ذكرى تراث درسته الايام وتناساه الاحفاد .

سبق لفئة قليلة من علماء الآثار والمحققين والرواد الغربيين ان طرقوا هذا البحث منذ عشرات السنين وأماطوا اللثام عن هذه الناحية الخفية من الحضارة العربية ونبهوا الأذهان اليها دون ان تتوفر لديهم وقتئذ ادلة لاثبات ماذهبوا اليه عن وجود طائفة من الابنية الفخمة في نواح نائية من بلاد الشام يرجع عهدها لأقدم المصانع الاسلامية فأنكرت عليهم هذه الدعوى ونازعهم المنازعون فانحاز لكل من الفريقين أنصار وأعوان واثار ذلك محاورات وابحاثاً دامت سنين عديدة دون ان ترجح كفة على

(١) تاريخ الكامل ج٥ص:٢٣ (٢) تاريخ الكامل ج ٥ ص:٢٦ (٣) تاريخ اليعقوبي ص:١١٢ (٤) الاغاني ج١٣ص:١٥٧ (٥) تاريخ الكامل ج ٥ص:١٠٥ (٦) تاريخ الكامل ج ٥ص:٩٧ (٧) خطط الشام ج٥ص:٢٨٠ـــ ٢٨٣

كفة . الى ان جاءت اكتشافات السنوات الاخيرة الاثرية فوضعت حداً لكل جدل وتوفرت الادلة المقنعة والشواهد الناطقة بصحة هذه الانظار الجديدة وسلم بهـا أشدهم عنـاداً وهكذا أصبح اليوم للفن المعاري الاسلامي طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به فأمكن الآن رسم مراحله منذ نشأته حتى دور انحطاطه وبذلك بعثت صفحة مجيدة من مفاخر السلف لتكون حديث الخلف

وفيما يلي وصف موجز لأهم القصور الأموية المعروفة في البلاد الشامية بحدودها الجغرافية التي لا تزالـــ آثارها ماثلة للعيان وقد نجت من التخريب والتدمير لبعدها عن المدن والمعمور ولذلك لم تصل اليها أيدي السوء لتحول انقاضها الى سواها من الابنية كما صارت اليه كثير من الابنية الاثرية ومحيت معالمهـا من الوجود . وقد ارفقنا بحثنا هذا بمخططات بسيطة لأهم هذه القصور وخريطة لسورية يستعين بهـا القارئ الكريم على تفهم دراستها والتحقق من مواقعها الجغرافية (شكل ٨) وأوردنا ذكر المصادر والمراجع التي استقينا منها مادتنا للرجوع اليها .

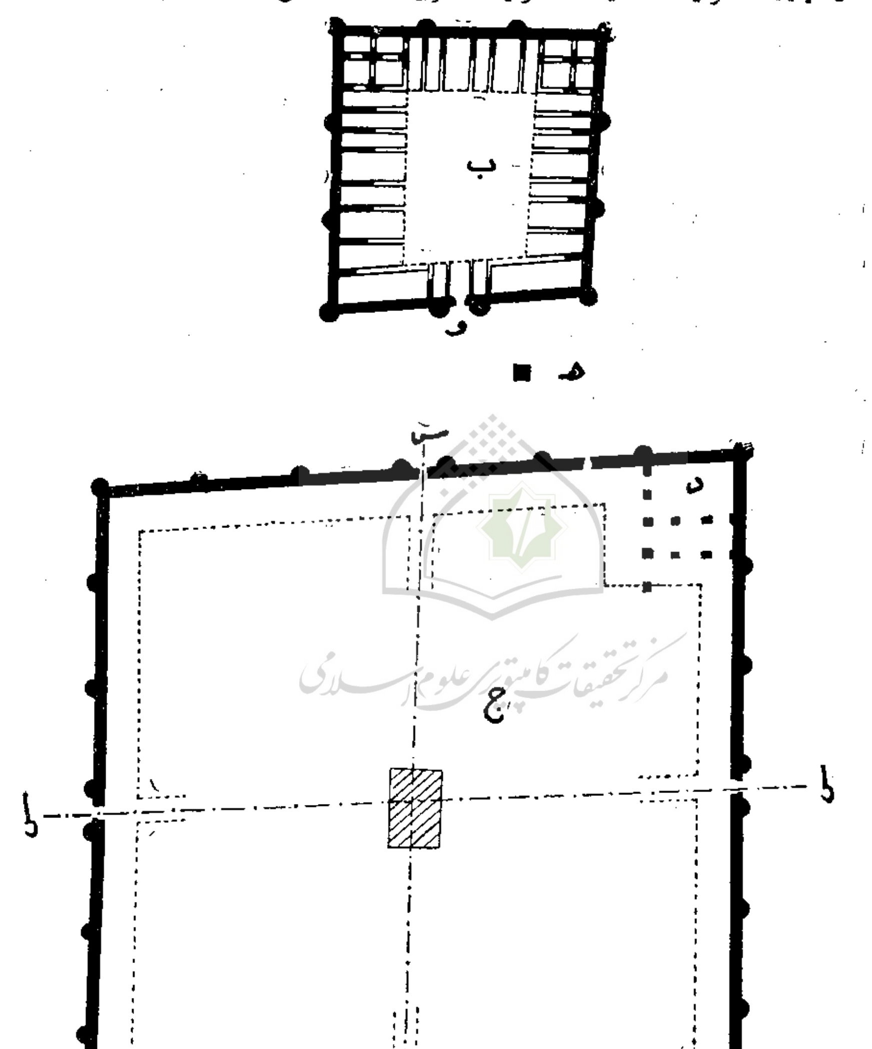
قصر الحير الشرقي (شكل ١)

او رصافة هشام

يقع في البادية على بعد نحو (٣٠) كيلو مترا شمال قرية السخنة للشرق . منحرف عن طريقي تدمر — دير الزور وتدمر — الرصافة وببعد نحو (٧٥) كيلو مترا عن مدينة الرصافة أو رصافة هشام واول من اشار الى وجوده هو جاك روسو في عام ١٨٠٨ ووصفه باسهاب في رحلته المطبوعـة [١] . وهو مكون من بنائين (ب و ج) لاتزال جدرانهما قائمة وتدل آثارهما على جلالة ماضيهما . يحيط بكل منهما سور مربع الشكل بارتفاع (١٢) مترا من حجر مهندم ويبلغ اطول اضلاع البناء الصغير (ب) نحو (٧٠) متراً وله في الزوايا أربعة بروج مستديرة وبرجين لكل جدار وحكم بابه بين برجين في وسط الجانب الغربي (د) . وفي داخله باحة يحيط بهـا

(١) Louis Jaeques Rousseau, Voyage de Bagdad à Alep (1808) p. 146-154.

غرف واسعة بناؤها من الآجر وسقوفها عقد ويرجح وجود طابق علوي ويظهر في الزاويتين الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية آثار طابق ثالث . ويستدل من اتقان



شكل ١ — قصر الحير الشرقي او رصافة هشام

نحت السور والنقوش القليلة الباقية في أعلى برجي المدخل وبقية الزخارف الموجودة على بعض الجدران أنه قصر ملكي وما عداه من الابنية فهو ملحق به . وأما البناء الكبير (ج) فيشبه ظاهره القصر ويبلغ اطول اضلاعه (١٧٠) متراً وله (٢٨) برجاً وله بمنتصف كل جانب مدخل بين برجين (س) وقد انشئ في زاويته الجنوبية الشرقية مسجد (د) لم تزل جدرانه وركائزه قائمة واما بقية البيوت والدور التي كانت داخل هذا البناء فقد تهدمت وأصبحت ركاماً ولا يمكن تفهم خطوطها الأصلية الا بعد اجراء حفريات ورفع الأنقاض وكشف أسس مابقي من الجدران ولعل هذا البناء هو أشبه بمدينة ملحقة بالقصر أعدت لسكن حاشية الخليفة وضيوفه ويؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في هذا البناء ونقلها معه الى حلب ولم يعرف بعد ذلك مصيرها . وهذا نص الكتابة كما نقلها الينا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله إلا الله وحده لاشريك له . محمد رسول الله امر بصنعة . هذه المدينة عبد الله هشام . أمير المؤمنين وكان هذا مما . عمل اهل حمص على يد سليمن . بن عبيد سنة عشر ومائة . » [١]

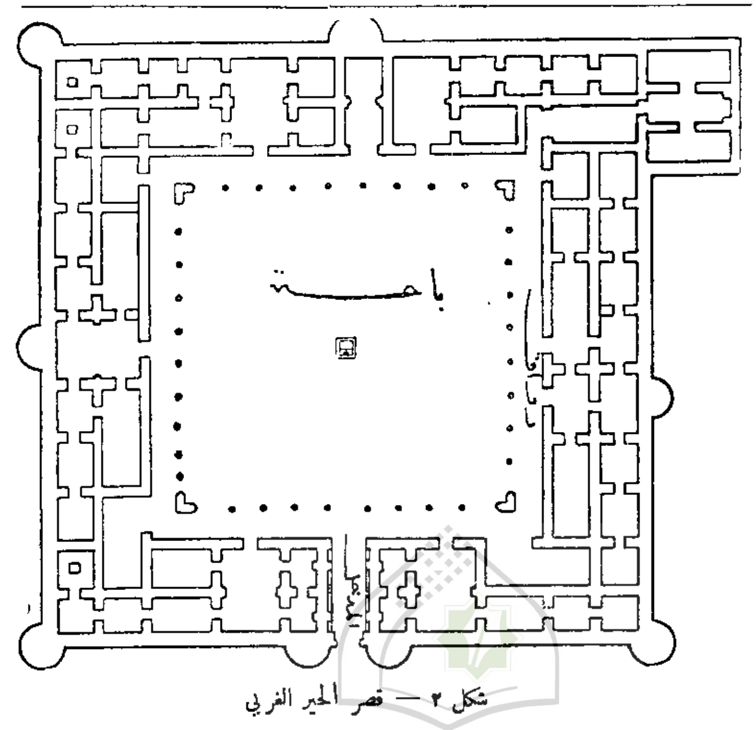
وقد شيد بين البنائين مأذنة مربعة (هـ) من حجر منحوت . ويمتد الى مسافة بعيدة نحو الجنوب اسس جدران من بقية اسوار المنطقة الزراعية التي جلبت اليها من الشمال مياه ينابيع عين الكوم بقناة تمتد نحو (٣٠) كيلو متراً ولم يزل يطلق عليها البدو حتى الآن اسم البساتين . [٢]

ويستدل من الكتابة الآنفة الذكر ان البناء أموي ومما أحدثه هشام ، وهذا مايحملنا على الاعتقاد بأن هذه الابنية هي التي أطلق عليها اسم رصافة هشام تمييزاً عن الرصافة القديمة المعروفة قبل العصر الاسلامي والتي رمم هشام ماعور من بنائها دون أن يسكنها . [٣]

(١) Clermont Ganneau, Une inscription du Calife Hicham, Rec. Arch. Oriental III p. 285

(٢) H. Seyrig. Antiquités Syrienne, Syria T. XV p. 24-32

(٣) Albert Gabriel, Kasr el-Heir - Syria, T. VIII p. 303-332.



شكل ٢ — قصر الحير الغربي

قصر الحير الغربي او الزيتونة شكل (٢)

يقع في البادية على بعد (١٥٠) كيلو متراً من دمشق لمن يقصد تدمر ا كتشفته مصلحة الآثار في سورية عام ١٩٣٦ وأشرف على حفرياته المسيو شلومنبرجة [١] وهو بناء مربع الشكل يبلغ اطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً بنيت جدرانه من اللبن والآجر على دكة من حجر مهندم ارتفاعها عن وجه الارض نحو مترين . وشيد في كل من أركانه برج مستدير وفتح مدخله في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين مستديرتين . ويحتوي داخله على باحة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) ركيزة بنيت بشكل عمد وحوله صفان من بيوت السكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفاً ويستدل من بقايا الادراج والانقاض بأنه كان للقصر اكثر من طبقة واحدة وقدر ارتفاع جبهته بنحو (١٥) متراً وقد أضيفت لهذا القصر ملحقات بنيت بجواره منها حمام واسع وبيوت وحوض تجمع فيه المياه التي تسيل اليه من سد خربقة العظيم الذي يبعد نحو

(١) مقالنا في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦١ ص : ٣٣٧

(١٥) كيلو متراً الى الجنوب منه ويتفرع من هذا الحوض جداول عديدة لري الزرع وسقيا أهل الضرع . ويرى الباحث في هذه المنطقة مظاهر عديدة يستدل منها بأن هذه الصحراء القاحلة اليوم القائم في وسطها هذا القصر كانت في العصر الأموي غوطة وارفة الظلال زاهرة بالزراعة مأهولة بالسكان (١) .

كشفت الحفريات عظمة هذا القصر وصورت لنا ما كان يتحلى به قصور ذاك العهد من مظاهر الابهة والجمال . وعثر بين انقاضه على مجموعة كبيرة من الزخارف الأنيقة مصنوعة من الجص وكانت تزين جدران القصر ونوافذه ومدخله وهي بأشكال خطوط ودوائر هندسية ورسوم نباتية وصور ذوات الارواح من أشخاص وبهائم وعثر فيه أيضاً على رسوم ملونة يمثل بعضها صوراً خيالية خرافية وبعضها مشاهد حقيقية . وهذا البناء وهو ثالث قصر أموي أظهرته التنقيبات الفنية وكان لاكتشافه شأن عظيم من الناحيتين العلمية والقومية . وسيكون له أثر حميد في دعوى حرب الاسلام والمسلمين للصور والتصوير .

ومن أهم الوثائق الخطية التي عثر عليها في هذا القصر قطعة من اللخاف كتب عليها رسالة موجهة « من هشام أمير المؤمنين الى ابي العباس احمد . » كما ظفر بكتابة كوفية ذبرت على عتبة احد الابنية الملحقة بالقصر هذا نصها :

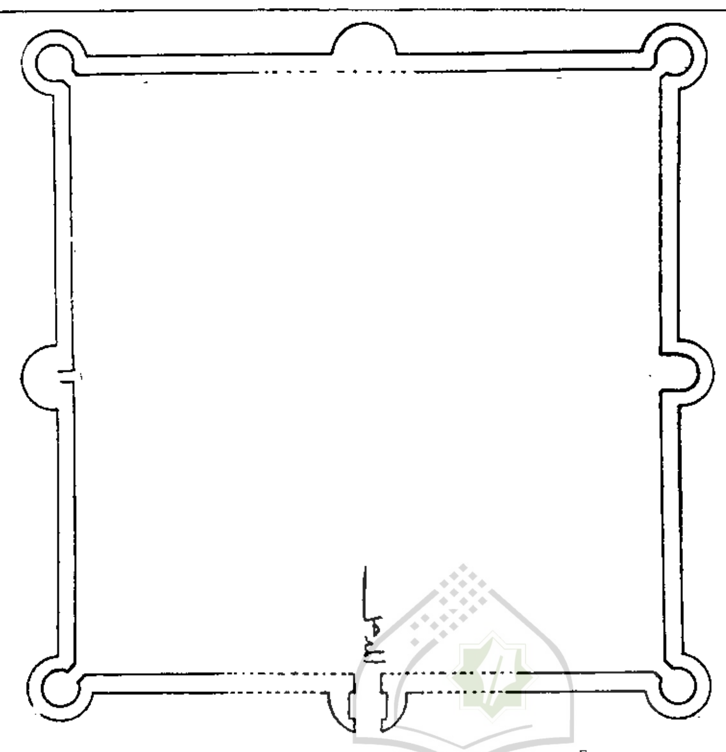
« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب الله اجره . عمل على يدي ثابت بن ابي ثابت في رجب سنة تسع ومائة » .

وفي ذلك دليل واضح يؤيد نسبة هذا البناء للأمويين .

ورغم عدم وجود نص صريح يعرف منه اسم هذا القصر في القديم فإننا نرجح بأنه هو قصر الزيتونة الذي كان ينزله هشام قبل بناء الرصافة .

وقد نقلت جميع زخارف هذا القصر الى متحف دمشق الوطني حيث يعمل لاعادتها الى سيرتها الاولى

(١) D. Schlumberger, Les fouilles de Qaçr el-Heir el-Gharbi, Syria T. XX p. 195 et 324.



شكل ٣ — قصر جبل سيس اواسيس

جبل سيس هو مرتفع بركاني في البادية على نحو (١٠٠) كيلو متر شرقي دمشق وفي حضيضه نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء الى مستنقع قريب يرده عربان البادية في فصلي الشتاء والربيع . ويظهر في جوار هذا المستنقع انقاض أبنية واسعة كان يعتقد بأنهـا بقية حصون ومخافر رومانية او بزنطية كشف الاستاذ سوفاجه (Sauvaget)[١] حقيقتها وأثبت بأنها آثار أموية شبيهة بغيرهـا من الابنية المعروفة المعاصرة لها مكونة من قصر وجامع وحمام ودار ضيافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك . وقد بني القصر بشكل مربع يبلغ طول جانبه نحو (٦٧) متراً وجدرانه الخارجية من احجار بركانية غير منحوتة وله في كل زاوية برج مستدير في وسط كل جدار دعامة مستديرة وفتح بابه في وسط دعامة الجبهة الشمالية . ويتطلب معرفة أقسامه الداخلية الى اجراء حفريات واسعة عسى ان تتحقق في المستقبل . والشبه

(١) J. Sauvaget, Les ruines Omeyyades du Djebel Seis - Syria T. XX p. 238-256.

قوى بين مصور هذا القصر وامثاله من القصور الاموية المعروفة مما يحملنا على نسبته للعصر الاموي ·

ونعتقد أن اسم سيس الحالي هو تحريف (اسيس) الذي اشار اليه عدي ابن الرقاع :

قد حباني الوليد يوم أسيس   بعشار فيها غنى وبهاء

وقال ابن السكيت في تفسيره هذا البيت بأن اسيس ماء شرقي دمشق وهذا ينطبق على هذا المكان ولنا بما تقدم ومن غيره من الاعتبارات الهندسية ان ننسب بناء هذا القصر الى عهد الوليد بن عبد الملك ·

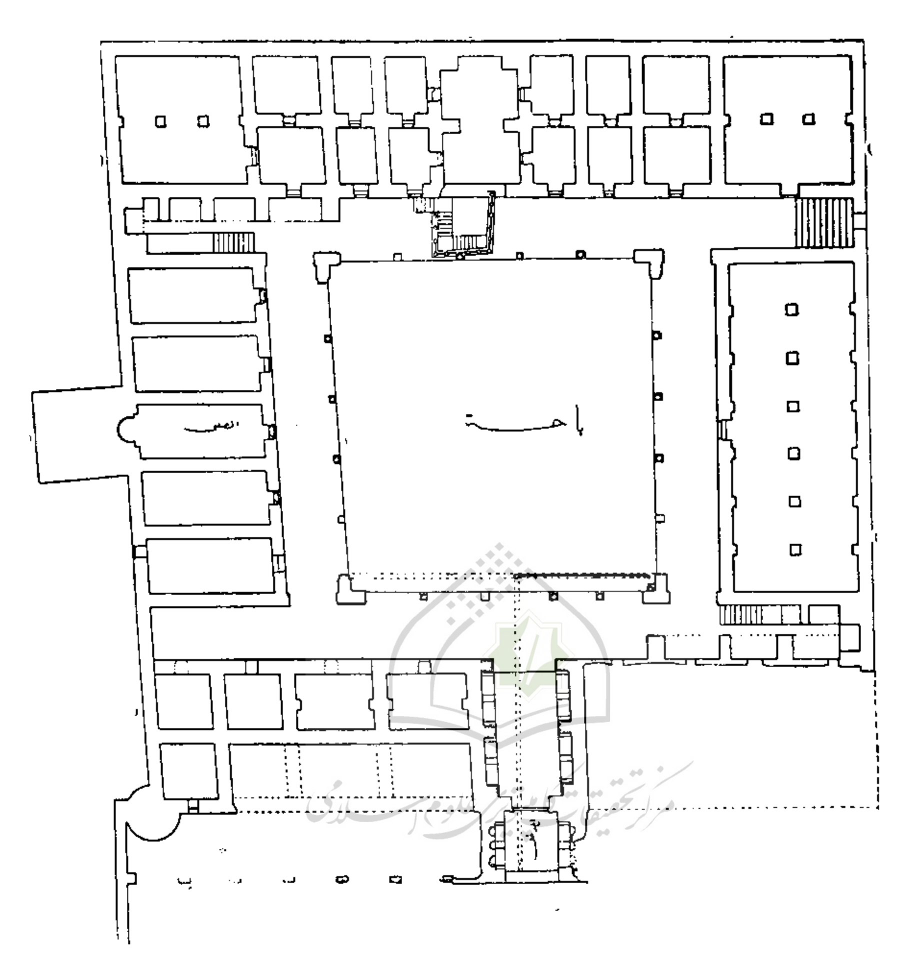
* * *

قصر خربة خان منية [1]

هي خربة في الشمال الغربي من بحيرة طبرية اجرى فيها الدكتور مادر(Mader) حفريات في عامي ١٩٣٢ و١٩٣٦ واستأنف العمل فيها الدكتور بوتريخ ريناراً (Pottrich - Reignard) ظانين بأنه بناء بزنطي ولكن سير الحفريات أبطلت هذا الاعتقاد وتحقق لديها بأن البناء أموي · وهو يشبه بجملته ما تقدم وصفه من القصور · وصورته مستطيل الشكل من حجر نحيت يبلغ أطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً وأقصرها (٦٦) متراً وله تسعة ابراج مستديرة في الزوايا والجدران وحكم بابه في وسط الجانب الشرقي بين برجين ويحتوي داخله على باحة تحيط بها غرف وعثر في داخله على مسجد وهذا يؤيد بأنه من العهد الاسلامي · وعثر أيضاً على بعض الزخارف والآثار العربية منها دينار تاريخه سنة ٨٩ ﻫ · اي في زمن الوليد بن عبد الملك · وهذا القصر هو اول قصر اجريت فيه حفريات علمية ولضيق الوقت لم نتمكن من الحصول على مصور له · كما أننا لم نعثر على نص تاريخي يرشدنا الى معرفة اسمه في العهد الأموي ·

* * *

(١) The Quarterly of the Departement of Antiquities in Palestine Vol. VI p. 215, VIII p. 159, IX p. 209.



شكل ٤ — قصر خربة مفجر [١]

هي خربة على بعد بضعة كيلو مترات شمالي اريحا أجرت بها مصلحة الآثار الفلسطينية حفريات منذ عام ١٩٣٦ باشراف الاستاذ براامكي [٢] وهو ثاني قصر اجري فيه التنقيب العلمي واصبح هو وقصري الحير الغربي وخان منية من أهم الأسس لدراسة الفن المعماري الأموي واصدق ما يستشهد به على تبين عهد كثير من

(١) اخذ هذا المخطط قبل انتهاء الحفريات ولذلك لم ترسم فيه بروج الزوايا .

(٢) D. C. Baramki, Excavations at Khirbet el Mefjer Quart. Dep. Ant. Pal. V', p. 157, VIII p. 45.

الأبنية الشامية التي لم يزل يكتنف عهدهـا الغموض . وهو بناء مربع الشكل تقريباً يبلغ أطول أضلاعه نحو (٧٠) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويحتوي داخله على باحة يحيط بها رواق تكتنفه بيوت السكن والمصلي والحمام وقد حكم بابه في منتصف الجبهة الشرقية يظلله رواق تمتد على طول الجبهة وهو طراز جديد لم نألفه في القصور التي سبق وصفها .

ولا تقلُّ مكانة هذا القصر عن قصر الحير الغربي لوفرة زخارفه وتنوعها مما يدل على عظمة هذا القصر وماضيه المجيد وتمثل زخارفه أشكال هندسية فيها صور بعض النباتات وتماثيل مخلوقات حية مصنوعة جميعها من الجص وهي آية في الجمال والابداع . ونقلت جميع هذه الزخارف الى القدس تزدان بها قاعات متحفها . وقد التقط بين الانقاض قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي ما يأتي .

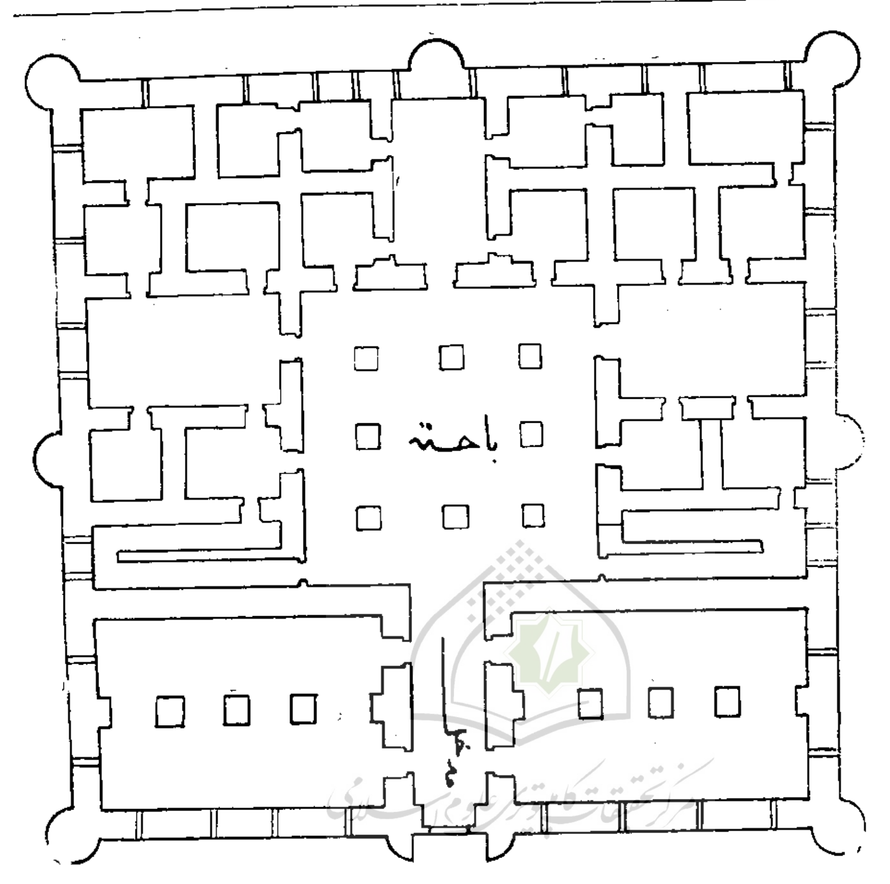
« لعبد الله هشام امير المؤمنين من عبيد
الله بن عمر سلم عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا إله ا
لا هو . »

وهذه وثيقة كافية لمعرفة عهد هذا القصر

* * *

قصر خرانة (شكل ٥)

يقع في بادية البلقاء على بعد (٦٠) كيلو متراً الى جهة الشرقية الجنوبية من عمان . وهو بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبه نحواً من (٣٦) متراً ونصف متر يجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون . له بروج مستديرة في الزوايا وفي منتصف كل جانب وفتح مدخله في وسط برج الجانب الجنوبي . ويحتوي داخله على باحة يحيط بها غرف وغيرهاوله مشارب وعلالي ولا يختلف عن غيره من القصور الأموية المعروفة الا بضيق مساحته ووفرة مرامي السور المطلة نحو الخارج لأجل الدفاع ورد أذى المعتدين . وقد عثر على بعض الجدران بقية زخارف نباتيه ملونة . وفي داخل احد

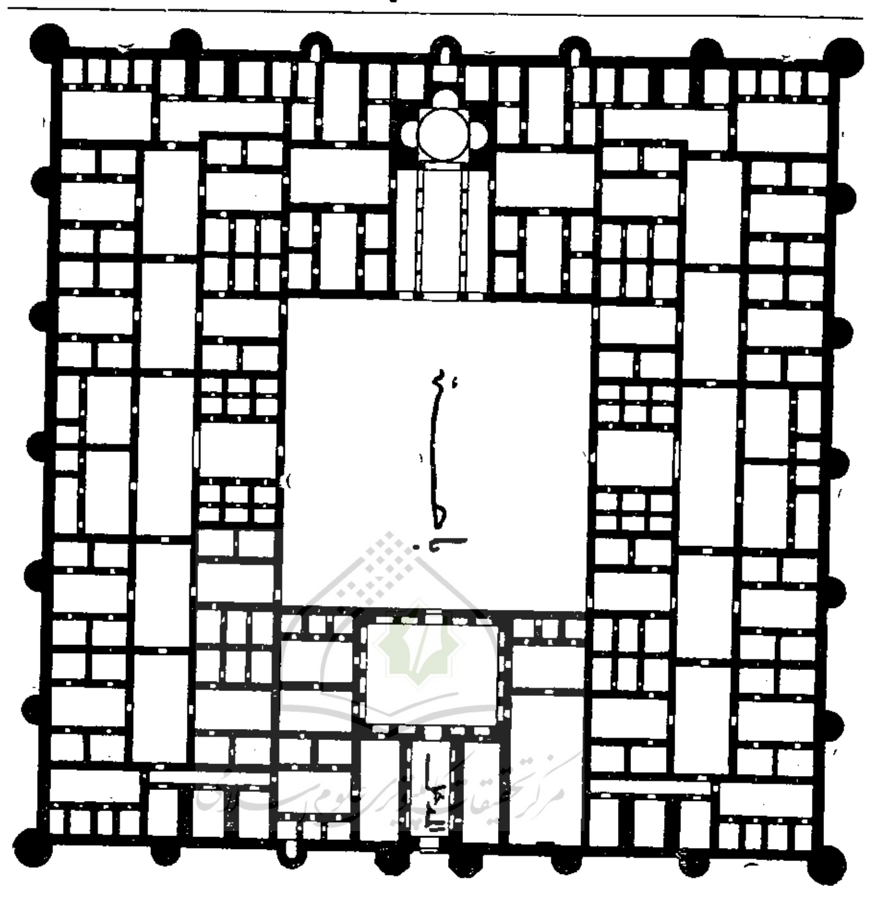


شكل ٥ — قصر خرانة

غرف القسم العلوي عثر على كتابة كوفية مشوهة تاريخها سنة ٩٢ هـ . وعلى أخرى تاريخها سنة ٧٢٦ هـ . ويستدل من ذلك بأن بناء القصر كان في عهد الوليد او في عهد احد أسلافه . ولم نعثر على ذكر قديم لهذا القصر[1]

هو في البلقاء على بعد نحو من (٢٥) كيلو متراً جنوبي شرقي عمان . وهو من أفخم الأبنية الأموية وأروعها منظراً يحيط به سور مربع الشكل تبلغ جوانبه (١٤٤)

(١) A · Musil, Arabia Petraea, I ·
Moab - Karte von Arabia Petraea.
Jaussen et Savignac – Mission archéologique en Arabie III, Les chateaux Arabes.



شكل ٦ — قصر المشتى

متراً وفي زواياه أربعة بروج مستديرة ولكل من جوانبه الشرقي والغربي والشمالي خمسة بروج مستديرة وأما الجهة الجنوبية فلها اربعة بروج فقط ودعامتان مخمسة الأضلاع فتح بينهما المدخل . وفي وسط القصر باحة يحيط بها غرف عديدة مرتبة على شكل يجعل منها اربع دور مستقلة متشابهة الهندسة وجدرانه من آجر قائم على دكة مرتفعة من حجر نحيت وقد زينت جميع دكته جبهة المدخل باجمل الزخارف وأدقها صنعة[1] مكونة من مثلثات نحت في وسطها وردة تحيط بها كرمة ذات أغصان وفروع كثيفة تظلل طيوراً وحيوانات خرافية كالقنطورس والعنقاء صورت

(١) Creswell - Early Muslim Architecture Vol. I.

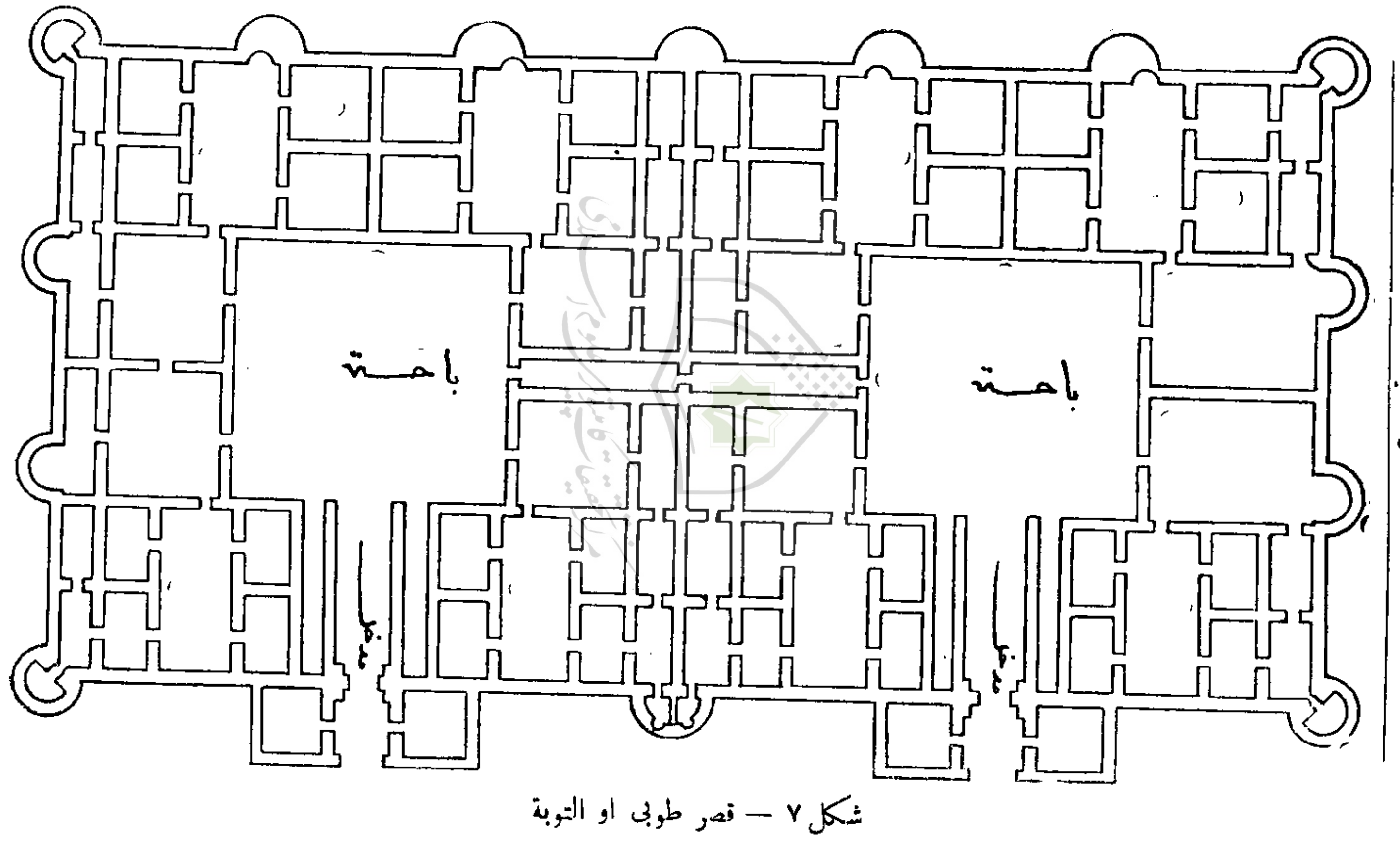
أحسن تصوير فجمع هذا القصر بين ابداع البناء وجمال الزينة جاء تحفة عصره وفاق كل بناء من نوعه وهو معجزة البناء الأموي وأبلغ شاهد على مدى رقي الفن المعماري وقتئذ ومهارة المهندسين واتقان البنائين وسلامة ذوق النقاشين ولو سلم هذا القصر من عوادي الدهر واستهانة البشر لكان اليوم المثل الأعلى لعبقرية الإنسان ومبلغ انتاجه في ظل الرفاهية والرخاء . وقد اقتطع الالمان في عهد الدولة العثمانية جميع زخارف هذا القصر ونقلوها الى بلادهم حيث أعادوا تركيبها في متحف برلين وهي اليوم من أنفس محتوياته .

وهذا القصر هو أول ماعرف من نوعه وقد أثار حوله الجدل الطويل بين الخبراء وعلماء الآثار . فمنهم من نسبه للفرس ومنهم من قال أنه من عهد الرومان وقال غيرهم هو من صنع البيزنطيين ونسبه بعضهم للعرب . وقد تنازعوه طويلا دون أن يظفر به أحد منهم الى أن اكتشف في السنوات الأخيرة قصر الحير الغربي وقصر خربة مفجر وقصر خان منية فأعيد الى حظيرته والحق ينسبه العربي دون منازع . وهنالك أدلة يتبين منها أن القصر لم تنجز عمارته ولم يسكن قط ويظن أن يزيد بن عبد الملك أراد بناءه لجاريته حبابة فماتت ولحق بها دون أن يحقق غايته واعرض عن اتمامه خلفه .

قصر طوبي او التوبة شكل (٧)

يقع في أقصى جنوب بادية البلقاء على بعد أكثر من (١٠٠) كيلو متر من جنوب شرق عمان . وهو بناء خرب مستطيل الشكل يبلغ أطول أضلاعه نحو (١٤٠) متراً والأصغر نحو (٧٣) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويدعم جداره الجنوبي خمسة بروج وبرجان في الشرق ومثلها في الغرب وله مدخلان يفصل بينهما برج مستدير وقد قامت على كل من جانبي المدخل غرفة مربعة . ولهذا القصر باحتان تحيط بهما الغرف [١] ورغم اختلاف شكله وطراز مدخله وتعدد باحاته فهو في جملته شديد الشبه بقصر المشتى روعيت فيه التقاسيم نفسها . ولو أخذ نصف القصر

(١) Jaussen et Savignac - Les chateaux Arabes.



شكل ٧ — قصر طوبى او التوبة

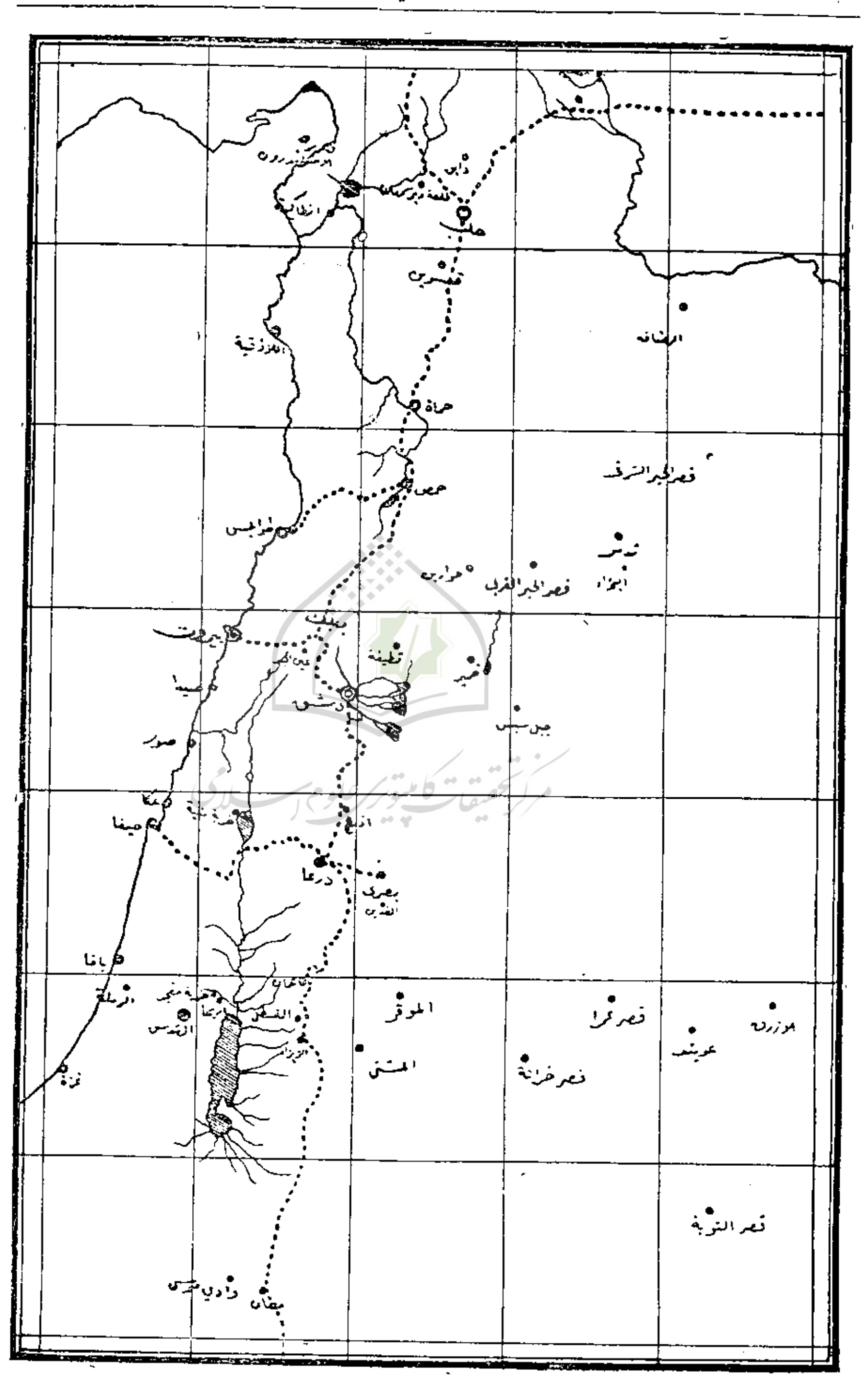
لما اختلف في تفاصيله عما نعرفه عن بقية القصور الأموية . وقد شيد هذا البناء على شفير واد يعرف اليوم بوادي غدف ولعل هذا القصر هو الأغدف الذي كان ينزله الوليد بن عبد الملك واوجه الشبه بين الاسمين قريبة جداً والتحريف لا يستبعد .

* * *

وبعد فإني اجتزيء بوصف أهم القصور المعروفة التي تحققت نسبتها الى العهد الأموي واحجمت عن وصف قصير عمراً لأنه لايدخل في عداد القصور وثبت بأنه حمام وان القصر الذي بجواره قد عفت آثاره وضاعت معالمه .

وهناك في انحاء مختلفة من سورية ابنية التقطت صورها من الجو حديثاً لها مظاهر القصور الأموية وهي تتطلب دراسة واسعة وبحثاً دقيقاً للتثبت من عهدها ومعرفة مصوراتها . وهكذا قد اتسع امامنا الميدان لنجول في أفق مشبع بالأمال بعد أن كان الباحث قبل عشر سنوات يخبط خبط عشواء متردداً بين الحدس والتخمين تتنازعه الاهواء وهو ضال عن سواء السبيل . والرجاء معقود على ما سيكشفه لنا المستقبل القريب فنتعدى مرحلتنا الأولى في معرفة ما كنا نجهله من حقيقة نهضتنا العمرانية مما اتصل بنا خبره وضاع أثره .

جعفر الحسني


حلب
قنسرين
اللاذقية
الرصافة
حماة
حمص
طرابلس
تدمر
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
درعا
يافا
الرملة
القدس
غزة
الموقر
قصر عمرا
قصر خرانة
قصر التوبة
المشتى

شكل (٨) سورية

الاوهام العاثرة

(٢)

١٠ — زحف إلى مدينة كذا ، لا على مدينة كذا

من مضحكات أرباب الصحف والتاريخ أن بعضهم يقولون : زحف القائد الفلاني بجيشه « على » مدينة كذا ، كأنه جعل المدينة تحت استهِ ، وهو يزحف عليها بجيشه الى عدوّهِ . قال في التاج : « الزحف : الجيش ، وفي اللسان : الجماعة ، يزحفون « الى » العدوّ بمرةٍ . زاد في الأساس : في ثقلٍ لكثرتهم وقوتهم .. واصل الزحف من قولهم : زحف الصبي على « استهِ » وهو ان يزحف قبل أن يمشي » انتهى . فالصواب ان يقال إذن : زحف القائد الفلاني بجيشه « الى » مدينة كذا .

١١ — جمع أفعل فعلاء نعتاً على فُعل بالضم للمذكر والمؤنث

انك لتقرأ في كتبٍ كثيرين ، ومقالات جماعات من المؤلفين مثل هذه العبارة : « الترتيبات الغراء ، والجنات الفيحاء ، والبساتين الغناء ، والافعال او الاعمال الجوفاء » . وهذا لايجوز ، لأن جمع أفعل فعلاء : فُعل بضم الأول ، فتقول : الترتيبات الغرّ ، والجنات الفيح ، والبساتين الغنّ ، والافعال الجوف ، باتباع النعت للمنعوت . وكذلك الايادي البيض وخطأ البيضاء وهذا الجمع مطرد في كل نعت ورد على أفعل ومؤنثه فعلاء ، مما دلّ على لون ، أو عيب ، أو حلية . اما إذا لم يدل على هذه الصفات فيجمع على أفاعل كأكابر وأصاغر وكذلك اذا لم يكن صفة بل اسماً فيجمع على أفاعل كأداهم واساود واجادل . ونص سيبويه صريح . قال في (٢ : ٢١١ من طبعة بولاق) : « وأما افعل ، اذا كان صفةً ، فانهُ يكسر على فُعل ، كما كسروا فعولاً على فُعل ، لان افعل من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أن في فعول زيادةً ، وعدة حروفه كعدة حروف فعول ، الاّ انهم لا يثقلون — في أفعلَ ، في الجمع — العينَ ، الاّ ان يضطرّ شاعر . وذلك احمر وحُمر ، واخضر وخُضر ،

وابيض وبيض ، واسود وسود ، وهو مما يكسر على فُعلان . وذلك حمران ، وسودان وبيضان ، وشُمطان ، وأُدْمان . والمؤنث من هذا يُجمع على فُعلٍ : وذلك حمراء وحُمرٌ ، وصفراء وصُفرٌ . وأما الأصغر والأكبر فانه يكسر على أفاعل ، ألا ترى انك لاتصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لاتقول رجلٌ أصغرُ ولا رجلٌ أكبر سمعنا العرب تقول الأصاغرة كما تقول القشاعمة وصيارفة ، حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا في الصفة ، كتمكن أحمر ، أجريَ مُجرى أجدلٍ وأفكلٍ ، كما قالوا : الأباطح والأساوِد ، حيث استعمل استعمال الاسماء ، وإن شئت قلتَ الأصغرون والأكبرون ، فاجتمع الواو والنون والتكسير ههنا كما اجتمع الفعل والفعلان . وقالوا : الآخرون ولم يقولوا غيره ، كراهية ان يلتبس بجماع آخر ، ولأنه خالف اخواتهِ في الصفة ، فلم يتمكن تمكنها كما لم يُصرَف في النكرة ، ونظير الاصغرين قوله تعالى بالأخسرين أعمالاً » اهـ .

ومن العجيب أن فارس الشدياق الذي أصلح ترجمة الانجيل لم ينتبه الى هذه القاعدة ، فقد أخطأ مثلاً في انجيل متى ١٧ : ٢ في هذه الآية : « وصارت ثيابهُ بيضًا » فكتبها « بَيضاء » وزان فعلاء . وكذلك فعل الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية البيروتية ، فانه ابقى هذه الكلمة على وجهها المغلوط فيه . وقد تكرّر هذا الخطأ مراراً لا تحصى في الترجمة البروتستانية والترجمة اليسوعية ، ومن تتبع نَصي هاتين الترجمتين يعثر عليها لا محالة .

وأما هذا الوهم في الجرائد ، والمجلات ، والكتب الحديثة ، فانها لا تحصى . وكنا قد خطأنا ناشر كتاب الحيوان للجاحظ لكونه قال : « صخور ملساء » وصوابهـا « مُلس » لا يخفى ، فاذا بصاحبنا يكتب كتابةً يفسد هذه القاعدة ، وهذه عبارته وقد وردت في الثقافة (٢ : ٢١٥١) : « وفي ص ١٧٦ قلتُ : (صخور ملساء) فقلت : الصواب (مُلس) . عنيتَ أن الجمع المكسر لغير العاقل لا يصح نعتهُ بفعلاء ، بل يصح نعتهُ بفعل جمع فعلاء . وهو مذهب يعترف حضرة الأب بان أحداً من النحويين لم يصرح به . وقد سمعتُ منك في مجلسٍ ضمَّ بعض الفضلاء انك استقريت كثيراً

من كلام العرب فصحتْ لك هذهِ القاعدة، وخطأت بعض من حضر، في قولهِ: (الأيادي البيضاء).

«وأنا أقول: ليس يكون تقييد قواعد الكلام بهذا النحو الذي جرى عليه حضرة الأب. فالنحويون القدامى كانوا أوسع علماً، وأكثر احاطةً، وأدق انتباهاً الى كلام العرب ومذاهبهم، منا نحن الذين لم نطلع إلاّ على القليل الذي وصل الينا مسطوراً مكتوباً، وهم كانوا يشافهون الأعراب في باديتهم، وكانت لديهم الذخيرة الفياضة من لغات العرب، فهؤلاء النحويون الأفذاذ الذين لم يعهد مثلهم في نحاة اللغات الاخرى، لم يمنعوا ما منعت ولم يحجروا ماحجرت. ولو أنهم وجدوا في كلام العرب مايفهم منهُ ماذكرت لما تردَّدوا في حظره، وهم قد أجازوا أن يوصف هذا الجمع بما يوصف به المفرد المؤنث نحو قوله تعالى: «ولي فيها مآرب أُخرى».

«على أنه قد جاء من النصوص المعارضة قول الجاحظ نفسه في الحيوان ٥: ١٠٧ س ٢: «فتستحيل حجارة سوداء» وقول ياقوت في معجم البلدان (٢: ١٩٣): انما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة». وقد تقول ان إثبات الهمزة في (سوداء) من زيادة الناسخين. فلمَ لا تقول ان الناسخين أهملوا بعض الهمزات في نحو هذه الكلمة، اهمال تحريف، او إهمال رسم»؟ اه كلام الاستاذ عبد السلام محمد هارون.

قلنا: لما بينا وجه استعمال جمع أفعل وفعلاء نعتاً، كنا اعتمدنا على استقرائنا الشخصي، اما الآن، وقد ظفرنا بالنص الصريح، فقد بطلتْ جميع مزاعم الاستاذ عبد السلام، ولم يبقَ لها معنى، ولا تحتاج الى تفنيد «لأن المعلم تكلم» فيجب علينا التسليم لقوله. وكفى.

٢٠ — لا يقال ها هو ذا الالمان يهجمون على العدوّ

لا يقال: ها هوذا الألمان يهجمون على العدو، بل ها هم اولاء الالمان يهجمون على العدو. ومن الغريب أن مثل هذا الغلط، ركب متنه أحمد فارس الشدياق الكاتب المشهور في مواطن شتى من الانجيل المنقول الى العربية والذي تولى تصحيحه وُطبع

في بيروت . فقد جاء في انجيل متى ١١ : ٨ : « هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك » . وفي ١٢ : ٢٠ منه : « هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعلهُ في السبت » . وفي ٢٠ : ١٨ منه : « ها نحن صاعدون الى اورشليم » — ووقع أيضاً في مثل هذا الغلط في الترجمة التي عني بتصحيحها الشيخ ابراهيم اليازجي في الآيات التي ذكرناها . والصواب ان يقال ها هم اولاء الذين يلبسون . وها هم اولاء تلاميذك يفعلون . وها نحن اولاء صاعدون . »

وقد تكررت نظائر هذه الأوهـام مراراً لا تحصى في نسخة التوراة التي عني بتصحيحها احمد فارس الشدياق والتي عني بتحريرها الشيخ ابراهيم اليازجي . ونحن نذكرهنا : « ها أنا مرسلكم » (متى ١٠ : ١٦) وفي النسخة اليسوعية : ها أنا ارسلكم . والصواب هااناذا مرسلكم او ارسلكم . — وفيه في ١١ : ١٩ : « هو ذا انسان أكول » والصواب : ها هوذا انسان اكول » . — وفيه في ٢١ : ٥ : « قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك . » والصواب « ها هو ذا ملكك يأتيك » وفيه في ٢٥ : ٢٥ : « هو ذا الذي لك » والصواب » ها هو ذا الذي لك » . ولا نريد ان نمضي قدماً في هذا التصحيح لكثرة ما في هاتين النسختين من أغلاط هذا القبيل . والقاعدة هي هذه على ماجاءَت في تاج العروس ونحن نلخصها على هذا الوجه : ها هو ذا ، ها هما ذانِ ، ها هم اولاء ، ها هي ذه ، هاهما تان ، ها انتنّ اولاء ، هاانا ذا ، ها انا ذِه ، ها نحن اولاء

وقال السيد مرتضى في شرح المقدمة بنحو صفحتين قبل الختام ، عند الكلام على قول الفيروزابادي : « وها انا اقول » : قال شيخنا : المعروف بين أهل العربية أن (ها) الموضوعة للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ إلا إذا اخبر عنه باسم اشارة نحو ها انتم اولاء ، ها انتم هؤلاء . فاما اذا كان الخبر غير اشارة فلا . وقد ارتكبه المصنف غافلاً عن شرطه . والعجب انه اشترط ذلك في اخر كتابه لما تكلم على (ها) وارتكبه ههنا ، وكأنه قلد في ذلك شيخه العلاّمة جمال الدين ابن هشام ، فانه — في مغنى اللبيب — ذكرها ومعانيها واستعمالها على ماحققهُ النحويون وعدل عن ذلك فاستعملها في كلامه في الخطبة مثل المصنف فقال : « وهأنا بائح بمـا أسررتهُ » انتهى .

١٣ – العريس لم يرد عندهم بمعنى العروس

الجرائد تكثر من ذكر (العريس) في وصف حفلات الاعراس ٠ ولم يرد العريس بمعنى العروس عند فصحاء العرب ٠ فالعروس يقال للذكر والانثى ٠ وعند إزالة الابهام يقال العروسة بهاء التأنيث ٠ وفي الانجيل الذي نقح عربيته أحمد فارس الشدياق ، وهو الترجمة البروتستانية ، نجد ذكر العريس للمذكر والعروس للمؤنث ٠ قال في متى ٢٥ : ١ : « يشبه ملكوت السموات عشر عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس » — وفي الترجمة اليسوعية ٠ « وخرجن للقاء العروسين » ٠ وهذا أيضاً خطأ لأن الاصل يقول : للقاء العروس والعروسة ٠ فقول المترجم للعروسين يحتمل ثلاثة معان : الاول ان لفظ العروسين يعني العروس والعروسة ، الثاني انه يعني عروسين ذكرين ٠ الثالث انه يعني عروسين أنثيين او عروستين ٠ ولهذا وجب ان يوضح هنا فيقال : العروس والعروسة ليزول كل ابهام وشبهة ٠

١٤ – لايقال كرّس حياته للخير ، بل وقف ، أو ، أرصد حياته للخير

ومن غريب تصرف الكتاب في الألفاظ ومعانيها ، انهم يستعملون كلمة (كرّس) بمعنى خصص ، ووقف ، وأرصد ٠ فيقولون مثلاً : كرّس حياته للخير ٠ والكلمة نصرانية من أصل يوناني من Khrisma وهو زيت التقديس والتبريك عندهم ؛ لكن العرب لم يستعملوها ، لأنهم لو اعتبروها عربية محضة ، تكون قد اخذت من (الكِرْس) بالكسر ٠ وهو ما يبني لطليان المعزى مثل بيت الحمام ، والبعر والبول المتلبد بعضه على بعض ٠ فيكون معنى « كرّس » بموجب الأصول العربية الفصحى جمع هذه الاقذار بعضها على بعض ٠ وهذا قبيح ٠ وفي لسان العرب ٠ « التكريس مصدر كرّس ، وهو ضم الشيء بعضه الى بعض ، ويجوز أن يكون من كِرْس الدمنة حيث تقف الدواب » ٠ ٠ ٠ اه ٠ ولهذا يجب على الكتاب — لا سيما المسلمون منهم — أن يعدلوا عن هذا الفعل المتشعب المعاني ، إلى ما اتخذه الأقدمون من البلغاء ، أي ان يقال : وقف ، وأرصد ، وخصص ، إلى نظائرها ٠

١٥ — السيدة المصونة لا المصون

ومن غريب أوهامهم التي تدل على جهلهم للاحكام العربية، بل مبادئ العربية انهم يقولون: «السيدة المصون»، ظنا منهم ان زنة [مصون]: فعول. وفعول اذا دلت على معنى الفاعلية لا تلحقها الهاء. فيقال: امرأة صبور، وناقة زبون، وبقرة حلوب؛ لكن وزن مصون هنا مفعول من صان يصون. ومفعول يؤنث بالهاء فيقال مصونة. اذن السيدة المصونة، والمرأة المصونة، والابنة المصونة، لا المصون في هذا كله.

١٦ — المستعد (لكذا) لا (الى كذا)

ويقول كثيرون: المستعدون «الى» الامتحان كثيرون. وهذا خطأ، لأن استعد يتصل بمفعوله باللام (كذا)، لا بإلى. ولهذا لم يصب الشيخ ابراهيم اليازجي في تصحيح الانجيل حينما قال: «ودخل معه المستعدات إلى العرس» [متى ٢٥ : ١٠ طبعة اليسوعيين] والصواب للعرس.

١٧ — لا تقل احكم بصفتي حاكم المدينة، بل احكم وأنا حاكم المدينة

ومن جهل بعضهم للأصول العربية، وهم أكثر أصحاب الجرائد والمجلات، انهم يقولون: وأنا احكم بصفتي حاكم المدينة كذا وكذا. (؟) فقولهم بصفتي حاكم المدينة، كقولهم بوصفي حاكم المدينة لا فرق. اذ كل من صفة ووصف مصدر وصف: إذن فقولهم بوصف حاكم المدينة، يعني انه يحاول وصف حاكم المدينة: لكن مرادهم من تلك العبارة ترجمة الفرنسية En qualité de gouverneur de la ville وهذه صيغة فرنسية خاصة بتلك اللغة، ولا يمكن أن تنقل بأحرفها، بل يقال هكذا: «احكم وأنا حاكم المدينة» وحاكم هنا منصوبة على الحالية[1]. أي احكم وأنا في حال كوني حاكماً للمدينة. أو يقال: احكم لكوني حاكماً للمدينة كذا وكذا (؟)

(البقية للآتي) الأب انستاس ماري الكرملي

---

[1] هذا ذهول من حضرة الاب المحترم والصواب ان (حاكم) هنا خبر المبتدأ والجملة هي الحال

عشائر الشام

- ٣ -

منازل البدو — ان الصحراء الشاسعة الممتدة ما بين الدجلة والفرات وشرقي المعمور من ارياف الشام في طول يبعد نحو ٤٠٠ — ٦٠٠ كيلو متر عن جبال البلقاء وحوران وقلمون والشومرية والبلعاس والاحص والشبيث تعرف عند الجغرافيين باسم (بادية الشام) وعند عشائرنا باسم (البرية) أو (الشول) والكلمة الثانية تركية بمعنى بادية . وهذه الصحراء هي منازل البدو ومسارحهم يضربون في ارجائها سعياً وراء الكلأ والماء والدفء لسائمتهم ، وهي تنقسم الى عدة مناطق لها عندهم اسماء خاصة منها (الجزيرة) ما بين الدجلة والفرات وهي تقابل (الشامية) اي السهول الممتدة في غربي الفرات و (الشنبل) وهو ما وقع شرقي ارياف حمص وحماة وغربي طريق تدمر والرقة . وقد اخذوا هذه الكلمة من مكيال الحبوب المسمى شنبلاً والمستعمل في مدن حلب وحمص وحماة وهو يزن نحو ٢٢٠ كيلوغراماً في حمص ونحو نصف ذلك في حلب . و (الحماد) وهو القفار التي تمتد جنوبي وشرقي ديرة الشنبل حتى حدود نجد . و (الحارّة) أو حرة الراجل وهي منطقة الاوعار البركانية التي تمتد جنوبي وعرة الصفا وشرقي جبل الدروز وتشقها الآن انابيب البترول الذاهبة من العراق الى حيفا . و [الجوف] واحة منخفضة بعد وادي السرحان وفي اقصى الشمال الغربي من بقاع نجد ، وهي ذات موقع جغرافي مهم جداً لوجودها في المنتصف مابين الفرات وسكة الحجاز وبين جبل شمر وجبل الدروز وهي على ممر القوافل والقبائل الى الشام من أقدم العصور .

وقد قسم الافرنسيون والانكليز الحماد الى قسمين بينهما خط وهمي يبدأ من قرية امتان في جنوبي جبل الدروز ويسير في خط سويّ حتى بلدة ابي كمال على الفرات وهذا الخط يفرق بين حدود الشام وشرقي الأردن والعراق . ويسود هذه البادية

اقليم صحراوي ، شديد الحر في الصيف شديد البرد في الشتاء وهواؤها جاف جداً وأمطارها قليلة وفصل الشتاء فيها قصير أما أرضها فمنبسطة كل الانبساط تتخللها في بعض الاماكن تلعات وأودية صغيرة وآكام صخريه بازالتية أو كلسية .

وليس في هذه البادية اثر للرمل اللهم إلا شيء في شرقي تدمر حول بعض الاودية والسباخ . واما تربتها فكلسية صفراء هشة مختلطة بقسم غير يسير من التراب النباتي . فاذا نالها نصيب من المطر اهتزت وربت وأنبتت من الاعشاب والانجم الخاصة بالبوادي . وهذه قصيرة العمر وصغيرة القد ، اخصها الروثة والرمث والشيح والرتم والحمض والقيصوم والنصي والديدحان والصر والربيان والحمصان والخافور والقبا وغيرها . وافضلها واحبها للابل ما كان فيه ملوحة وحموضة كالروثة والرمث والنصي . لاجل هذا يخطئ من يظن ان بادية الشام فلوات رملية كدهناء نجد أو تهامة الحجاز واليمن ، بل هي أشبه بالسهوب المعشوشبة التي في انحاء روسية الجنوبية مما يدعوه الاوربيون Steppe .

والذي يجذب البدو نحو هذه البادية غير الاعشاب والانجم المذكورة هو [الخبرات] جمع خبرة . وهي البحيرات الوقتية التي تحصل في القيعان والوهدات حيث تجتمع المياه من الأمطار السائلة من المنحدرات والتلعات المحيطة بها . وأشهر هذه الخبرات خبرة الزرقا وخبرة مرقية وخبرة الهجم وخبرة الصيقل وقد نسمي هذه بحيرة الصيقل وخبرة ملحم وغيرها : وتبلغ مساحة بعضها عدة مئات من الهكتارات . يفد اليها البدو بقطعانهم فيعلون وينهلون . وبعد هذه الخبرات الى الشرق تحدث في منحدرات جبل عنزى المائلة نحو الشرق اودية تسيل باتجاه الفرات يستقي البدو منها أيضاً كوادي المياه ووادي سوى ووادي حوران ووادي عامج وغيرها . وهذه الأودية منقطعة الجريان لا تسيل الا حين هطول الأمطار الغزيرة ، فهي تنظم حركة مياه البادية وسيولها وتصرفها نحو الفرات . واذا انقطعت تحدث غدراناً واذا فاضت تحدث بعد انصرافها غيطاناً خضرا تسر العيون في تلك الفيافي القفراء .

وفي هذه البادية عدة جبال يسيرة العلو ، تكتسي قممها بالثلج في السنين الباردة

وتجود فيها مراعي الابل والغنم ، تنزلها عشائر الشمال في الشتاء منها البلعاس وابو الضهور وشاعر — والشطب والعمور والمراه والابيض والابورجمين والضاحك والاصابع والمنشار والبشري — وفي الوسط على الحدود الشامية العراقية جبل التنف ، وفي الجنوب جبل عنزى وجبل لاهة . وفي البادية ايضاً من المناهل ذات البئر والآبار المتعددة التي عمقها ١٠ — ١٥ متراً ومياهها ما بين اجاج وعذب ، اشهرها في الشمال الطيبة والكوم وام شربدي وامربة وتوينات والكديم وقطقط وابوفياض وابواليتل والهباة وعين البيضاء والسبع آبار . وفيها من القرى تدمر وأرك والسخنة داخل حدود الشام والرطبة داخل حدود العراق . وقد اخترقها أخيراً خطان لأنابيب النفط قادمان من كركوك تتجه الأول نحو طرابلس والثاني نحو حيفا . وفي كل منهما عدة محطات كبيرة محصنة بالمخافر ومزينة بدور ومبانٍ جميلة تحوي كل أسباب الرفه من ماء وكهرباء وحدائق وغراس ، مما صير هذه المحطات شامات في وجنة البادية . ويخترق البادية أيضاً طريقان للسيارات أولها قادم من دمشق والثاني من حيفا يجتمعان في الرطبة ويذهبان متحدين نحو بلدة الرمادي على الفرات فبغداد . وقد تم في يومنا تعبيد طريق حيفا — الرطبة ولم يتم ذلك في طريق دمشق بعد .

اذا حل فصل الخريف وبدأت امطاره بالهطول [ايلول — تشرين] يشرع البدو بنجعتهم نحو الشرق ، وهم يسمونها [تشريق] فيظعنون رويداً رويداً ويبعدون كلما اعشوشبت أرض البرية وزخرت الآبار والمناهل بالماء . واذا جاء فصل الشتاء وهمت امطاره بغزارة وكانت السنة غير قارسة البرد تغدو البادية بقعةً بهجةً وتكتسي بعشب ترتع فيه الابل والغنم وتلد بكثرة فيعلو ثغاء الحملان ويدوي صوت مخض الالبان وتمتلئ الخبرات بالمياه الزاخرة فترتوي منها سوائمهم مهما كثر عددها . وينساب البدو ويوغلون في نجعتهم ويطيلون امدها ماطاب لهم المقام ويعم الفرح مضاربهم ويطفح البشر والاغتباط على وجوههم . ويعكف بعضهم وقتئذ على الصيد بقصد اللهو والأنس . والصيد متيسر في البادية لوفرة الغزال والأرنب والحجل والحبارى وغيرها . ويتخذون لذلك ويربون الطيور الجوارح والكلاب السلوقية .

ولكن ما ان يقبل شهر نيسان أو ايار وتنقطع الأمطار حتى تجف تلك الأعشاب وتقل مياه تلك الخبرات وما ان يشتد الحر حتى يكلح بسيط البادية ويربد وينقلب كئيباً يبعث الانقباض ، وتبرز أرض الجوع والعطش التي لا يظهر فيها نبات ولا تسيل أودية . لهذا يشرع البدو بالتغريب أي بالرحيل والانتقال نحو الغرب منذ غرة آذار يسيرون زرافات الى حيث يجدون مجالاً للرعي و ياهاً للشرب في العيون او الآبار المعروفة لديهم . وحينما يحل فصل الربيع في [المعمورة] اي في المناطق الآهلة بالسكان من أرياف الشام يقتربون منها . وحينما ينتهي هذا الفصل يشرعون بتخطي حدود الأراضي المزروعة ويصلون الى المواقع التي تكون قرب نهر أو عين ويهيئون بذلك لأنفسهم منطقة كافية لرعي سائمتهم ويضربون خيامهم فيها لمدة موقتة في انتظار انتهاء موسم الحصاد كي يقصدوا بعده مراعي جديدة .

تحضر البدو . — لابد أن يفعل الزمن فعله في هؤلاء البدو ويخضعهم الى ماجرى على اسلافهم الذين تركوا عيش البداوة وانصرفوا للاستقرار والتحضر . مجتازين ادوار الطبقة الاولى فالثانية فالثالثة نقول هذا على ما نعلمه من كره البدوي للعمل وعزوفه عن الحرث والكرث وامتهانه لها . فقد كان في الماضي القريب يعتمد على الغزو ويعده بعد الرعي مرتزقه الطبيعي ويهتبل الغرر من فوضى الأحكام وضعف السلطان ليستبيح حمى المعمور ويتنمر في وجه الضعيف ويستدر المكاسب من أي نبع كان . إلا ان هذه الفرص لم تعد تواتيه فسبيل الغزو قد انقطع بفضل السيارات المسلحة بالرشاش وبتجول دوريات الهجانة داخل الحدود العراقية والاردنية والشامية . ولم يعد الجناة يفلتون الا فيما قل .

وانقطاع الغزو وشيوع سيارات الركب السريعة يكاد يبيد الخيل كما أن السيارات الضخمة ابادت قوافل الابل العظيمة التي كانت تنقل نواتج الهند والعجم والعراق من بغداد إلى دمشق . ومصر التي كانت أكبر سوق للابل قل فيها عدد آكلي لحمها وتقدمت وسائل النقل الآلية فلم تعد تربية الابل رابحة كما كانت من قبل مما اضطر العشائر الكبيرة إلى الاقلال منها . فبعد ان كان عدد مايباع منها مثلاً عند الرولة حين اصطيافها في الجولان ٣٠ — ٣٥ الفاً في سنة ١٩٢٢ هبط

عدد المبيع الى ١٣ الفاً في سنة ١٩٢٧ وإلى أقل من ثمانية آلاف في سنة ١٩٢٨ . وبينما كانت هذه العشائر لا تربي نعجةً واحدةً صار عدد الغنم لدى الرولة ٣٠٠٠٠ رأس في سنة ١٩٢٩ ولدى الاسبعة ٥٠٠٠٠ ولدى الفدعان ٦٤٠٠٠ وهكذا . ثم ان شيوخ العشائر الكبيرة هذه بعد ان كانوا ينظرون الى الزراعة وأربابها بازدراء مالوا منذ خمس عشرة سنة أو أقل الى اقتناء الضياع والارضين من أملاك الدولة وغيرها وتوفروا على احياء الخرب الدائرة وتفجير القنوات الغائرة وشرعوا يهتمون بالزراعة ويجنون ثمراتها ويتجهون الى سكنى المدن والقرى وبناء الدور وغشيان المجتمعات والمنتديات . ولو اتيح لهؤلاء الشيوخ أن يعلموا ابناءهم في المدارس الراقية كما فعل عجيل الياور شيخ شمر العراق ومحجم بن مهيد شيخ الفدعان والحاج مصطفى شويطية شيخ العقيدات ابوليل ، او لو فتحت لأبناء هؤلاء ومن يليهم مدارس خاصة على طراز (مدرسة العشائر) التي كان السلطان عبد الحميد فتحها وتثقف فيها كثير منهم امثال برجس بن هديب شيخ الاسبعة العبدة ونواف الصالح شيخ الحديديين ورمضان شلاش احد شيوخ العقيدات الابوسرايا وغيرهم ، ثم لوان وزارة المعارف عينت لكل فرقة كبيرة منهم معلماً سياراً يقيم في بيت الشعر ويشرق ويغرب معهم ويعلم صغارهم القراءة والكتابة وبسائط العلوم الدينية والدنيوية الضرورية ويحبب اليهم معيشة الاستقرار وحياة الحرث والكرث وما الى ذلك ... قلت لو تم هذا أو لو سير فيه لتعجلت حضارة البدو وحسنت أطوارهم ومعيشتهم وعمرت براريناا الغامرة وصاروا أعضاءً نافعين في جسم الامة العربية بدلاً من أن يكونوا هكذا متحفزين للشر والأذى بحكم الامية والجهالة وفقدان التوجيه والهداية .

تعريف عشائر البدو – عشائر الطبقة الاولى اهل الابل – عنزة

عنزة . — اعظم القبائل البدوية عدداً وشأناً وأمنعها جانباً وأكثرها انتشاراً في الحجاز ونجد والعراق والشام . حتى أن آل سعود ملوك نجد والحجاز منها وكذا آل صباح امراء الكويت وآل خليفة امراء البحرين . والمعروف بين البدو أن عنزة من أعقاب عنز بن وائل . ويقول السمعاني في كتاب الانساب ان عنزة حي من ربيعة ، وان نسبه عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان والله أعلم .

وموطن عنزة في الحجاز في انحاء خيبر ، وكانت هجرة من وفد منها الى الشام والعراق طبيعية وبالتتابع على نحو الهجرات البدوية العديدة التي قدمنا أن سيلها لم ينقطع . وقد حدث ذلك على ما يظن في اواسط القرن الثاني عشر الهجري ، جاء أولاً أكثرها الى الشام ثم ذهب قليلها الى العراق . وأول بطن جاء منها إلى الشام الاحسنة ثم لحقهم الفدعان والاسبعة ثم الولد علي وآخر من جاء الرولة . وقد اغارت وقتئذ عنزة على وادي السرحان وشرقي الاردن وحوران ، وانتزعت السيادة من العشائر القديمة التي كانت فيها كالسرحان وبني صخر والسردية والفحيلي وغيرها وهاجمت شمر التي كانت اسبق في الانسياب نحو شمالي الشام ودحرتها شطر الجزيرة الفراتية كما هاجمت العشائر القديمة المتمكنة في انحاء حمص وحماة (وأخصها الموالي) وانتزعت السيادة منها واستقرت وتبسطت .

أما فروع عنزة فهي كما يلي : قالوا أن عنزة اعقب ولدين هما مسلم وبشر . فمسلم أبو ضنا مسلم ، وهم فخذان الجلاس والوهب . فمن الجلاس عشائر الرولة والمحلف ، ومن الوهب الولدعلي والمنابهة والحيدة . فالمنابهة والحيدة في شمالي الحجاز وغربي نجد ، الا عشيرة الاحسنة المعدودة من المنابهة فانها في الشام . وبشر ابوضنا بشر ، وهم أيضاً فخذان عبيد وعمارة . فمن عبيد عشائر الاسبعة والفدعان وولد سليمان . فالولد سليمان في شمالي الحجاز وغربي نجد والفدعان والاسبعة في شمالي الشام . ومن عمارة العمارات التي نزلت العراق وصارت تعد من عشائره .

ومن المؤسف أن العداوة منذ سنة ١٣٤٨ هـ مستحكمة بين ضنا مسلم (الرولة والولدعلي والحسنة) وبين ضنا بشر (الاسبعة والفدعان ومعها الموالي) ولما تنجل هذه العداوة بعد . اما الشرف بين عشائر عنزة فقد قالت عنه السائحة الانكليزية اللادي بلونت التي جالت بين العشائر في سنة ١٢٩٣ هـ « ان أشرف البيوتات في عشائر البادية وقتئذ كانت ابن مزيد [الحسنة] وابن جندل [السوالمة] وابن الطيار [ولد علي] وابن هذال [العمارات] وابن سمير [ولدعلي] . ثم يأتي بعد هؤلاء ابن صفوق [شمر الجربا] وشيوخ طي وابن هديب [الموايجة من الاسبعة العبدة] وروس المهيد [الفدعان] وابن مرشد القمصة [الاسبعة البطينات] . اما ابن الشعلان فليست شرافته

الا عرضية أخذها بالسيف . وعراقة نسب شيوخ طي وشيوخ شمر الجربا لا تقل عنها في البيوت الخمسة الأولى »وأضاف المقدم (القومندان) مولّر الافرنسي على ذلك قائلا « ومن الغريب أن هذا الترتيب لايزال على التقريب كما كان قبل نصف قرن » .

الرولة . — أكبر عشائر عنزة عدداً وأعظمها قوةً وأجلها قدراً لدى ذوي السلطان في بلاد الشام . وهي آخر من هاجر ووصل الينا من عشائر عنزة ، ويقال أن منها بقية لا تزال في مواطنها في شمالي الحجاز . لذلك مابرحت أعرق العشائر في البداوة والجفوة واشظفها عيشاً وأرثها ملبساً ومسكناً . وقد نوه السائح الانكليزي دوختي الذي جاء في سنة ١٢٧٧ ﻫ بوجود الرولة في بوادي الشام وقال انها أكثر وأقوى العشائر وان شيخها وقتئذ فيصل الشعلان . ثم جاءت السائحة الانكليزية اللادي بلونت في سنة ١٢٩٣ ﻫ وكررت ذكر الكثرة والقوة وان شيخها وقتئذ سطام الشعلان . ويظهر ان الرولة كانت تتردد بين وادي السرحان وأطراف البلقاء وحوران وما زالت تزحف حتى استقرت في منازلها الحاضرة . وكانت حين ورودها استظهرت على جميع عشائر البادية والمتحضرة واستطالت الى فرض الاتاوات (الخاوة) على القرى المتطرفة وأقلقت الحكومات التي في هذه الديار . وقد كان الرولة خصوم شمر ابن الرشيد استخلصوا منهم في سنة ١٣٢٨ ﻫ وادي السرحان وواحة الجوف وقريات الملح التي فيه وظل الشيخ الحالي نوري الشعلان مدة مديدة يتقاضي أربعة مجيديات عن كل حمل ملح ينقل إلى جبل الدروز وحوران وشرقي الاردن فجمع من ذلك ثروة كبيرة . ولكن في سنة ١٣٣٧ ﻫ استردها الشمريون منهم عقيب معارك شديدة ثم عادوا هم في سنة ١٣٤٠ ﻫ واستردوها وظلت في أيديهم الى سنة ١٣٤٤ حيث اضطروا الى التخلي عنها الى الملك عبد العزيز بن السعود بعد أن أزال دولة آل الرشيد واستولى على الحجاز . ويقدر عدد الرولة مع احلافها بـ ٤٠٠٠ بيت وعدد مواشيها بمالا يقل عن ١٢٠٠٠٠ بعير و ١٠٠٠ فرس و ٣٠٠٠٠ شاة ، ولا يخلو أي بيت فيها من بندقية وعند الشيخ نوري عدة سيارات ورشاشات ، وقد افترق منها نحو ٤٠٠ بيت وهم فرقتا الدغمي والمشهور برئاسة درزي بن دغمي وفرحان بن مشهور وصاروا وهابيين في سنة ١٣٤١ ودخلوا في الجوف .

(يتبع) وصفي زكريا

كلمة الإشتيام

في شعر البحتري

لعل لفظ [الاشتيام] لم يسمع الا في شعر البحتري من قصيدته التي أولها

[ألم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من نشر الرياض المنشر]

وهى التي مدح بها [أحمد بن دينار] والي البحر في العهد العباسي : فان هذا الوالي [أو نسميه امير البحر] أنشأ بارجةً غزا عليها بلاد الروم · فمدحه البحتري بالقصيدة المذكورة : ومما جاء فيها قوله :

[ولما تولى البحر والجود صنوه غدا البحر من أخلاقه بين أبحر]

ثم وصف سير سفائن الاسطول فقال :

[غدون على الميمون صبحًا وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر]

وأراد بالمركب الميمون البارجة الجديدة التي أنشأها الوالي وكلمة [الميمون] تقع عادة في جملة فصيحة يدعون بها للمسافر فيقولون [سِرْ على الطائر الميمون] أي كن سعيداً في سفرك · ثم وصف البحتري أدب ملاحي [أحمد] فقال :

[يغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوفَ السماطِ للعظيم المؤمَّر]

وقد فسروا [الاشتيام] برئيس المركب كما يأتى · وأطلقه البحتري على أحمد المذكور · فهو يقول ان ملاحي اسطوله يهابونه فهم يغضون دونه أبصارهم مطرقين واقفين كما تقف صفوف الناس للأمير العظيم اذا مرَّ بهم ·

واذا هاب الملاحون رئيسهم أحمد فما علينا نحن أن نهاب شاعرنا البحتري ونجرأ على نقده ذلك أن شعره هذا يشبه قول من قال :

[كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوس حولهم مـاء]

أليس مآل معنى بيت البحتري تشبيه النوتية الواقفين لرئيسهم بسماط النـاس الواقفين لأميرهم وسماط القوم صفهم كما في القاموس ·

وليس شأننا في هذه العجالة أن ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا هو تحليل معنى كلمة [الاشتيام] الواردة في شعره ومن أي أصلٍ انتزعت

لم تذكر المعاجم هذه اللفظة · بلى ذكرها صاحب التاج في غير مادتها اعني [ش ي م]، ذكرهـا في مادة [ر ب ع] :

قال القاموس [والمرُبع كمحسن شراع السفينة الملأى] فعلق [التاج] على قوله هذا قوله (والروميُّ شراع [1] السفينة الفارغة ، والمتملطة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب] وقال في مادة [ل م ظ] [والمتملظة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة] وقال [ومثله صاحب اللسان] في مادة [م ل ط] والمتملطة مقعد الاستيام ، والاستيام رئيس الركاب ا هـ] وقد وردت كلمة [الاستيام] في عبارات التاج بالسين المهملة أما في عبارة اللسان فبالشين وهو الصواب كما هي في ديوان البحتري وكما هي في كتاب [عبث الوليد]

ومع كل ما ذكرنا من قول البحتري وتعقليات التاج واللسان على كلمة [الاشتيام] بقي أمرها غامضاً علينا حتى عثرنا في كتاب [عبث الوليد] لأبي العلاء المعري على شيءٍ من التحقيق في تحليل معنى هذه الكلمة وأصلها · قال ابو العلاء معلقاً على قول البحتري

[يغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر]

ما خلاصته [الاشتيام لم يذكرها المتقدمون من علماء اللغة · فاذا سئل من يركب البحر عنها قال: البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فان كانت كلمة الاشتيام عربية كانت مشتقة من شام البرق يشيمه اذا نظر اليه ليعلم إن كان ممطراً أو لا ورئيس المركب يكون عالماً بشؤون البروق والرياح · فهو تسمية بالمصدر كقولهم : رجل زَوْرٌ اي زائر ، وفي البحر سمكة عظيمة تُعرف بالاشتيام أيضاً · فلعلها سميت باسم رئيس المركب · كأنها رئيسة السمك · فهمزة الاشتيام على هذا (أي على كونها عربية) همزة وصل وقد قطعت للضرورة وان

(١) اما السفينة نفسها فان كانت ملأى أي مشحونة سميت غامدة وآمدة وخن وان كانت ارغ: سميت جفاية بضم الجيم ا هـ قاموس وتاج

كانت الاشتيام لفظة اعجمية فهمزتها همزة قطع] انتهى قول ابي العلاء • وهو ظاهر في ان الاشتيام بالشين المعجمة لأنه جعلها من شام البرق وان معناها رئيس المركب وانها يحتمل أن تكون عربية كما يحتمل أن تكون أعجمية • هذا ما أمكننا أن نعثر عليه من أقوالهم في تحليل كلمة [الاشتيام] واذا كان لمثلي الحق أن يزيد على ما قالوه فأعلق عليه قولي :

احتمال أن تكون [الاشتيام] عربية احتمالٌ بعيد لأن المعاجم لم تذكر في مادة [شام] ان الاشتيام اسم لرئيس المركب وكذلك لم يرد اشتام البرق بمعنى شامه فهي في غالب الظن أعجمية وعلى القول بعجمتها لم نر أحداً منهم أشار الى أصلها الأعجمي • وأرى أن أصلها فارسي وهو (آشِنا) بهمزة ممدودة في أولها والف مقصورة في آخرها : قال شمس الدين سامي في قاموسه المشهور [آشنا صفة فارسية يوصف بها الشخص الواقف على حقيقة الشيء ومن له علم به والخبير] • وفسرها صاحب معجم [كنزلغات] بقوله [آشنا : عريف • خبير • سباح • عوام] فقوله : [سباح] يدنينا من معرفة معنى كلمة [آشِنا] التي حرفت الى [الاشتيام] وأن [آشنا] بعد ان كان معناها السباح في البحر عادوا فأطلقوها على رئيس المركب الذي لا يمكن إلا أن يكون خبيراً بالسباحة ذا علم بها • والا [أضاع كل عمره] ثم إن ملاّحي بحر الحجاز تلامذة ابن ماجد [الربان العربي المشهور] سمعوا نواخذة الفرس يصفون ربان السفينة بانه [آشنا] أي خبير بسلوك البحر • وتكرر منهم هذا السماع فتلقفوا الكلمة وعرّبوها فأدخلوا عليها الالف واللام في أولها والهمزة في آخرها وقالوا في أحاديثهم عن البحر • فلان الآشناء سافر • وفلان الآشناء قدم • وفلان الآشناء غرق وهكذا • ثم ان النساخ — أو نساخ ديوان البحتري الذي ربما كان هو أول من وصل الينا استعماله لكلمة [الآشناء] — هؤلاء النساخ حرفوا [الآشناء] الى [الاشتيام] • وما أكثر ما يقع التحريف في الكلمات ذوات الأسنان والنقط أما همزة [الاشناء] الأخيرة فقد حرفت الى الميم ذات الذنب القصير [م] ثم ان تعريب [آشنا] بالآشناء يشبه تعريب [كهربا]

بالكهرباء وشيميا بالسيمياء مرة وبالكيمياء مرةً أخرى فزادوا [أل] في أولها والهمزة في آخرها على أنه يحتمل أن تكون زيادة الهمزة الأخيرة ليست من [عملية] التعريب في شيء . وانما هي ضرورة شعرية لجأ اليها البحتري لاقامة وزن البيت . وفي اشعار ديوانه شواهد على ذلك . منها قوله [والقنا قد أسال فيهم قناءً] القنا الاولى الرماح و [قناء] الثانية جمع [قناة] التي معناها مجرى الماء ولا يخفى أن جمع قناة بهذا المعنى [قنا] بالف من دون همزة لكن البحتري همزها وقال [قناء] لضرورة الشعر أو ضرورة القافية . ومطلع هذه القصيدة (يأخا الأَزد ما حفظت الإخاءَ) قال ابو العلاء في (عبث الوليد) عند شرحه لكلمة [قناء] ومدّ المقصور سائغ وقد كثر في اشعار المحدثين وقلّ في أشعار المتقدمين . ومنه قول الشاعر :

[سيغنيني الذي أغناك عني فما فقر يدوم ولا غناء]

قال (غناء) بالمد وهو في كلام العرب مقصور لأن المراد به الاستغناء بالمال لا التغني بالنشيد وقال البحتري أيضاً :

[وجحاجحُ الأزد بن غوثٍ حوله فرقاً يهزُّون اللحاء الشيبا]

وعلق ابو العلاء على ذلك قوله [اللحاء بالمد اصله لِحىً فهو من باب مد المقصور]

فعلى ماتقدم يحتمل ان يكون البحتري في قوله [الآشناء] قد مد الالف المقصورة لاقامة وزن البيت لا لأجل التعريب ويكون تعريب [الآشنا] بالف مقصورة في آخرها كتعريب مرعزّي ومصطكا وكراويا

والخلاصة : أن [الاشتيام] في بيت البحتري محرّف عن [الآشناء] و [الآشناء] تعريب [آشنا] الفارسية بمعنى الخبير بالسباحة ثم استعمل وصفاً أو اسماً لرئيس المركب لكنه استعمال لم يشتهر في لغة الأدب وبقي في دائرة ضيقة الحدود . نعتمد على هذا الحل في تصحيح كلمة [الاشتيام] ريثما نقع على نسخ أخرى لأشعار البحتري ومخطوطات ديوانه أو على نصوصٍ في كتب اللغة غير التاج واللسان نتبين منها حقيقة كلمة [الاشتيام] واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة والسلام .

المغربي

— ١٤ —

وكان ابو محمد المهلبي يكثر الحديث على طعامه ويكون اطيب الحديث واكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء ، وكنت كثيراً ما احضر ، فقدّم اليه في بعض الايام طيهوج [1] فقال [2] : أذكروني في هذا حديثاً طريفاً ، فسئل ماهو؟ فقال: اخبرني بعض من كان يعاشر الراسبي الامير قال: كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الاكراد المجاورين لعمله وكان ممن يقطع الطريق ، فاستأمن اليه فأمنه واختصه وطالت ايامه معه ، فكان في ذلك اليوم على مائدته ، اذ قدم حجل ، فألقى الراسبي منه واحدة الى الكردي كما يلاطف الرؤساء مواكليهم ، فأخذها الكردي وجعل يضحك ، فتعجب الراسبي من ذلك وقال: ما سبب هذا الضحك؟ وما نرى مايوجبه ، فقال: خبر كان لي ، فقال اخبرني ، فقال شيء ظريف ذكرته لما رأيت هذه الحجلة ، قال ماهو؟ فقال: كنت ايام قطعي الطريق وقد اجتزت في بعض المحجةّ الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه حتى

---

(١) الطيهوج ذكر الحجل معرّب تيهو بالفارسية . (٢) ارشاد الاريب ٣ — ١٩٥ وحياة الحيوان ١ — ٢٠٧ وفي الارشاد : اذكرني هذا حديثاً ظريفاً وهو ما أخبرني به الخ

استقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحت عليه، فاستسلم الي ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعرى، ففعل ومضى لينصرف، فخفت ان يلقاه في الطريق من يستنفره على طلبي فأُطلب وأنا وحدي فأوخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لاقتله، فقال: ياهذا! اي شيء بيني وبينك؟ قد أخذت ثيابي وعريتني ولا فائدة لك في قتلي، فكتفته ولم التفت الى قوله، واقبلت اقنعه بالسيف، فالتفت الي كأنه يطلب شيئاً، فرأى حجلة قائمة وهي على الجبل فقال: ياحجلة! اشهدي[1] لي عند الله تعالى اني أقتل مظلوماً، فمازلت اضربه حتى قتلته وسرت[2] فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة ذلك الرجل فضحكت. قال فانقلبت عين الراسي[3] حرداً، وقال: لا جرم ان شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما أمنتك الا على ما كان منك من فساد السبيل، فأما الدماء فما اسقطها الله عنك بالأمان، وقد اجرى الله على لسانك الاقرار عندي. ياغلام! اضرب عنقه؛ قال فبادر الغلام اليه وغيره بسيوفهم يخبطونه، وضرب كل واحد منهم قفاه فكأن رأسه قثاءة قطعت بنصفين. فتدحرج رأسه بين أيدينا ونحن على المائدة وجُرّت جثته ومضى الراسي في الأكل.

* * *

أملى عليّ ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب الصابئ نسخة رقعة الى رجل زوّج امه كتبها اليه: قد جعلك الله وله الحمد من اهل

(١) بالأصل: اشهد. (٢) بالأصل فشرت. (٣) في الارشاد: فانقلب علينا الراسي في رأسه.

التحصيل ، والرأي الاصيل ، وصحة الدين ، وخلوص اليقين ، كما أنك لا تتبع الشهوة في محظور (تفعله)[1] ، فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ، وتأدى الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة – نفس الله لهـا في مدتك – وبين فلان ، ما علمنا انك[2] بين طاعة الديانة توخيتها ، ومشقة فيها تجشمتها ، فأنك جدعت انف الغيرة لها ، وأضرعت خد الحمية فيها ، وأسخطت نفسك لرضاها ، وعصيت هواك لرأيها . فنحن نهنئك بعزيمة صبرك ، ونعزيك عن فائت مرادك ، ونسأل الله الخيرة لك ، وأن يجعلها ابداً معك فيما شئت وأبيت ، وتجنبت وأتيت ، والسلام .

* * *

وأنشدني لنفسه قال و كتبت بها وانفذني الى حضرة الأمير[3] ووعدني بتخليصي فاخر ذلك (؟)

ايا ناصراً[4] للدين والدولة التي رددت اليها العز اذ فات ردُّه
ايعجزك استخلاص عبدك بعدما تخلصت مولاك الذي انت عبده

* * *

انشدني رجل مصري قال انشدني ابو الفرج كاتب ابن البكتمري رجل باقٍ بالشام من اهلها لنفسه :

تملكت يا مهجتي مهجتي واسهرت ياناظري ناظري

---

(١) الكلمة غير واضحة . (٢) لعله سقط : فيه . (٣) في الارشاد ١–٣٤٨ انه ابن بقية . ولعله : فوعدني الأمير بتخليصه . (٤) في الارشاد « الا يانصير الدين والدولة الذي » . وكان لقب ابن بقية نصير الدولة . راجع تجارب الامم ٢–٣٥٥ .

وما كان ذا املي يا ملول ولاخطر الهجر في خاطري
وفيك تعلمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر

✲ ✲ ✲

انشدني ابو غسان المتطبب البصري :

افدي من السوء مولى بات معتنقي وقد أَمال اليّ طائعاً فاهُ
وكلما قلت يا مولاي اوثقني لك الهوى قال لي لا فكك الله

✲ ✲ ✲

حدثني ابو القاسم بهلول بن ابي طالب القاضي وهو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي ، قال حدثني صاحب الربع بباب الشام وأَسماه لي قال : كنت اعمل في اصحاب الشُرط مع ابي الحسن الابزاعجي صاحب الشرطة ببغداد ، فأخرج لصوصاً من الحبس واستأذن معز الدولة في صلبهم وقتلهم عند الجسر ، فأذن في صلبهم عشياً ، وكانوا عشرين رجلاً ، ووكل بهم جماعة كنت فيهم ، والرئيس علينا فلان . وقال كونوا عند حبسهم بقية يومكم وليلتكم ، حتى اذا كان من غد ضربت اعناقهم . فبتنا وجعلنا الليل يوماً فتقيل رئيسنا في نومه[1] وجماعتنا . فاحتال بعض اللصوص في أَن قطع الحبل ونزل من الخشبة ، فماانتبهنا الا بصوت وقعه وعدْوه فعدا رئيسنا خلفه وانا معه ، فما لحقناه ، وخفنا أن يتشوش الرجالة الباقون فيفلت انسان آخر ، فرجعنا مسرعين وجلسنا مغمومين مفكرين ماذا نعمل ، فقال : رئيسنا ابن الابزاعجي لا يقيل لي عثرة ، ولا يقبل

(١) لعله : في يومه يعني على انه قد جعل الليل يوماً (او لعله فثقل رئيسنا في نومه).

مني عذراً ، ويقع له انني قد أخذت من اللصوص مالاً وافلته ، فيضربني للتقرير فلا اقر فيقع له انني اتجلد عليه ،فيمد الضرب عليّ الى أن اتلف فما الرأي؟ فقلت تهرب ، قال فمن أين أعيش ؟ فقلت هذا نصف الليل ولم يعلم بما جرى أحد ، فقم حتى نطوف ، فلا يخلو ان يقع بأيدينا مشئوم قد حانت منيته ، فتوثقه وتصلبه . وتقول له : سلمتَ الينا عشرين رجلا ، فانه ما اثبت حلاهم . فقال هذا صواب . فقمنا نطوف وسلكنا طريق الجسر نعبر الجانب الغربي ، فرأينا في اسفل كرسي الجسر رجلاً يبول فعدلنا اليه فقبضنا عليه ، فصاح يا قوم ! ما لكم ؟ انا رجل ملاّح صعدت من سميريتي ابول وهذه سميريتي ، وأومأ اليها . أي شيء بيني وبينكم؟ فضربناه وقلنا انت اللص الذي هرب من الخشبة وحبناه [١] ورقيناه الى الخشبة وصلبناه مكان اللص الهارب وهو يصيح طول الليل ويبكي ، فتقطعت قلوبنا رحمةً له ، وقلنا مظلوم ولكن ما الحيلة ، فلما كان من الغد ركب الابزاعجي الى الحبس وجاء وقد اجتمع الناس ليضرب اعناق القوم ، فصاح به الملاح ايها الاستاذ ! — وكذا كان يخاطب وهو رسم لكل من يتقلد رياسة الشرطة ببغداد — بوقوفك بين يدي الله ادعني واسمع مني كلامي فلست من اللصوص الذين أخرجتهم وأمرت بصلبهم وأنا مظلوم وقد وقعت بي حيلة . فأنزل به ، وقال له ما قصتك ؟ فشرح له حديثه على حقيقته ؛ فدعا بنا وقال : ما [٢] هذا الرجل ؟ فقلنا ما نعرف ما يقول سلمت الينا عشرين رجلاً وهؤلاء عشرون رجلاً . فقال قد أخذتم من أحد

(١) لعله : وجذبناه . (٢) لعله سقط : فعل او حال .

اللصوص دراهم واطلقتموه واعترضتم هذا من الطريق رجلاً غريباً بريئاً فاخذتموه ، فقلنا ما فعلنا هذا ، اللص الذي سلمته الينا هو هذا . فضرب اعناق الجماعة وترك الملاح . وقال هاتم السجانين والبوابين ، فجاؤا ، فقال لهم : هذا من جملة العشرين الذين أخذناهم ؟ فتأملوه بأجمعهم وقالوا لا . ففكر ساعة ثم امر باطلاقه ثم قال هاتوه الي ، فرددناه . فقال اشرح لي قصتك ، فأعاد عليه الحديث ، فقال له : نصف الليل ، اي شيء كنت تعمل هناك في ذلك الموضع ؟ فقال : كنت قد بت في سماريتي فاخذتني بولة فصعدت ابول ، قال ففكر ساعة ثم قال له : اصدقني على الحقيقة حتى اطلقك ، أي شيء كنت تعمل هناك ؟ فلم يخبره بغير ذلك . — قال وكان من رسمه اذا أراد أن يقرر انساناً قرره وهو قائم بين نفسين ووراءه جماعة بمقارع فاذا حك رأسه ضرب المقرر واحدة جيدة عظيمة فيقول للذي ضربه قطع الله يدك ورجلك يا فاعل ياصانع من امرك بضربه ولم ضربته تقدم يا هذا لا بأس عليك اصدق فقد نجوت فان اقر والا حك رأسه ثانية وثالثة ابداً على هذا وكذا كانت عادته في جميع الجناة وهو رسم له معروف عند المتصرفين بحضرته — قال فلما أطال عليه الملاح حك رأسه فضرب قفاه بعض القائمين بمقرعة ضربة عظيمة ، فصاح الملاح ، فقال الابزاعجي : من أمرك بهذا يا فاعل يا صانع ؟ قطع الله يديك ، ثم قال للملاح : اصدق وانج بنفسك ، فقال له الملاح : أيها الاستاذ ! الله شاهد عليك اني آمن على نفسي وأعضائي حين اصدق ؟ فقال له نعم . قال أنا

رجل ملاح اعمل في المشرعة الفلانية يعرفني جيراني بالستر، وقد كنت سرحت سماريتي الى سوق الثلاثاء البارحة بعد العتمة أتفرج في القمر، فنزل خادم من دار لا أعرفها، فصاح يا ملاّح فقدمت[1] فسلم اليّ امرأة نظيفة حسنة ومعها صبيتان وأعطاني دراهم صحاحاً، وقال احمل هؤلاء الى المشرعة الفلانية بباب الشماسية، فصعدت بهم قطعة من من الطريق فكشفت المرأة رأسها فاذا هي من أحسن الناس وجهاً كالقمر، فاشتهيتها فعلقت مجاذيفي في الكرك[2] وأخرجت السفينة إلى وسط دجلة بغداد، وتقدمت إلى المرأة فراودتها عن نفسها، فأخذت تصيح، فقلت لها: والله لئن صحت لأغرقنك الساعة، فسكنتْ وأخذت تمانعني عن نفسها، واجتهدتُ بأن أقدر عليها فما قدرتُ، فقلت لها: من هاتان الصبيتان منك؟ فقالت بناتي، فقلت لها: أيما أحب إليك تمكنيني من نفسك او أُغرق هذه؟ وقبضت على واحدة منهن، فقالت: اما أنا فلا أُطيعك، اعمل ماشئت، فرميت إحدى الصبيتين في الماء، فصاحت، فضربتُ فاها وصحت معها والله لا أُطلّقك ولو قتلتني، ليشتبه ذلك على من عساه يسمع الصياح في الليل، فسكنتْ وأقبلتْ تبكي، ثم تركتها ساعة وقلت لها: دعيني أفعل بك وإلا غرقت الأخرى، فقالت والله لافعلت، فأخذتُ الصبية الأخرى فرميت بها في الماء، فصاحت وصحت معها، ثم قلت لها: ما بقي الآن إلا قتلك أنت فدعيني وإلا قتلتك وأخذت

---

(١) لعله: فتقدمت. (٢) يريد مركز الاستناد في المركب ولعل الكلمة تركية كورك أي مجذاف.

بيدها وشلتها لأرمي بها إلى الماء ، فقالت أدعك ، فرددتها إلى السمارية فمكنتني من نفسها فوطئتها ، وسرت لأمضي بها إلى المشرعة ، فقلت في نفسي : هذه الساعة تصعد إلى دارها أو إلى الموضع الذي تأوي إليه فتنذر بي فأوخذ فأقتل وليس الوجه إلا تغريقها ، فجمعت بيديها ورجليها ورميت بها إلى الماء . فحين غرقت فكرت فيما ارتكبته وعظم ما جنيته فندمت وكنت كرجل كان سكران فأفاق ، فقلت أي شيء أعمل ؟ ليس إلا أن انحدر إلى البصرة وأغوص في أنهارها فلا أعرف ، فانحدرت فلما صرت حذاء الجسر فأخذتني بطني وقلت أصعد وأتفسح وأعود إلى سماريتي ، فصعدت فأنا جالس أتغوط فما أحسست حتى قبض هؤلاء عليّ . قال فقال له الابزاعجي : يا هذا ـ مطايباً ـ فأي معاملة بين مثلك وبيني ؟ انصرف بسلام ، فظن لجهله أن ذلك حقيقة ، فولى لينصرف ، فصاح به وقال : يا فتى ! هوذا تنصرف وتدعنا من حقا ؟ [1] فلا أقل من أن ترجع لنحلفك أنك لا تعود إلى مثل هذا . فرجع ، فقال خذوه فأخذوه ، فقال اقطعوا يده ، فقال يا سيدي ! أليس قد أمنتني ؟ فقال يا كلب ! وأي أمان لمثلك ؟ قد قتلت ثلاثة أنفس وزنيت وأخفت السبيل . قال فقطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه وأحرق جسده بالنار في مكانه .

* * *

أخبرني من أثق إليه من اهل بغداد ان الابزاعجي انما لقب بذلك

(١) كذا بالأصل : وهي لغة العامة يريدون من حق أي حقيقة .

لانه كان يخدم قائداً من غلمان الموفق تركيًا وكان يسمى ابزاعج والابزاعجي قريباً [١] من ذلك ·

* * *

حدثني ابو بكر بن عثمان الصيرفي الشاعر قال سمعت عمر بن اكثم يقول : كان قوم يريدون تثبيت وفاة وعدد ورثة عند أبي عمر القاضي ، وكانوا قد ضمنوا للوكيل خمسين ديناراً على ذلك ، فلما ثبت عند القاضي عدد الورثة بشهادة شاهدين ساموه ان يأخذ منهم البعض ويدع عليهم البعض ، فاخذ ماعفوا به وتقدم عند القاضي وخصومهم في المجلس وقال : قد وكلني هؤلاء اعز الله القاضي وقد أُخرجت نفسي من الأولين ، فقال تكلم ، فقال شهد الشاهدان عند القاضي انهما لا يعلمان وارثًا غير من ذكروه ، وعندي شاهدان عدلان يعلمان وارثًا آخر ، فقال أحضرهما ، فقاما ودافع بالحكم ولم يزل يدفع بهم شهوراً الى ان جاءه الورثة فقالوا قد اهلكتنا ، فقال بِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُم والله لادفعن بأمركم سنة أَو تعطوني خمسين ديناراً مستأنفة لأُمسك ،واعطوه ما طلب وتقدم فقال : لابينة لي ، فحكم القاضي لهم ·

* * *

وحدثني أبو بكر قال حدثني عمر بن اكثم قال تقدم يتيم كان في حجر امين من امناء القاضي ابي جعفر بن البهلول اليه وقد بلغ وفك

(١) كذا بالاصل : وكان يجب أن يقول : فالابزاعجي مولاه ولعل الرجل كان يكنى ابا الزعج ·

حجره فقال: أيها القاضي ! ان فلاناً الأمين ضيع من مالي هذا كذا وكذا وأنا اطالبه به ، فقال هاه هاه اتقول لامين ثابت الامانة عندي ؟ فقال ايها القاضي ! لم اقل خان فيه ولكن انفق عليّ اكثر مما كنت احتاج اليه بكذا وكذا وهذا تضييع . فدعا أبو جعفر الأمين فسأله فأقر بذلك فألزمه المال في ذمته .

☆ ☆ ☆

حدثنا ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي[1] قال : قال لي ابو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى يوماً وقد تجاذبنا على خلوة الحديث فيما بينه وبين ابي القاسم البريدي وتدبير كل واحد منهما على صاحبه في القبض عليه وانا اشير عليه أن يهرب عن البصرة ولا يقيم وانه لا يجب أن يغترّ ، قال لست افكر في هذا الرجل لالوان كثيرة منها روٴيا رأيتها منذ ليالٍ كثيرة ، فقلت ما هي ؟ قال رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج علي من هذا الحائط وأومى بيده الى حائط في مجلسه وهو يريدني فطلبته وضربته فأثبته في الحائط ، فتأولت ذلك ان الثعبان البريدي ، وأني أغلبه قال فحين قال فأثبته في الحائط فسبق الى قلبي ان البريدي هو الباب[2] وأن الحائط حائطه دون ابي احمد ، فأردت ان اقول له ان الخبر[3] منتقض لما كان[4] عبد الملك رأى في منامه كأنه وابن الزبير قد اصطرعا في

(١) يراجع الفرج بعد الشدة ١/١٨٤ . (٢) لعله : الثعبان .

(٣) لعله : التعبير . (٤) الفرج بعد الشدة ١/٨٤ وهناك ان عبد الله بن الزبير رأى المنام .

صعيد من الأرض فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض وأوتده باربعة اوتاد فيها وانه أنفذ راكباً الى البصرة قد لقي[1] ابن سيرين فقص عليه الرؤيا كأنها له وكتم ابن الزبير[2] فقال له ابن سيرين : هذه الرويا ليست رؤياك ولا افسرها لك ، فألحّ عليه ، فقال : يجب أن تكون رؤيا عبد الملك فان صدقتني فسرتها لك ، فقال هو كما وقع لك ، فقال : قل له ان صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض ويملك الأرض من صلبك اربعة ملوك ، فمضى الرجل الى عبد الملك فأخبره فعجب من فطنة ابن سيرين ، وقال ارجع اليه وقل له : من أين قلت؟ فرجع الرجل اليه . فقال له : ان الغالب في النوم هو مغلوب ، وتمكنه على الأرض غلبه عليها ، والأوتاد الأربعة التي اوتدتها الأرض هم ملوك يتمكنون في الأرض كما تمكنت الأوتاد . قال أبو القاسم الآمدي : فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا وما وقع لي من القياس عليه في تعبير رؤياه فكرهت ذلك لانه كان يكون سوء ادب وقباحة عشرة ونعياً لنفسه فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه وكان من أمره ما كان .

وكان ممن حضر عندي لما حدثني ابو القاسم بهذا الخبر ابو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحسن بن المثنى ، فقال كانت لجدي منامات طريفة لاتخطئ فمنها اني كنت بحضرته وأنا صبي في تربة جدي لامي وعم أبي الحسين وما أظن بيني وبين اخي[3] الا سنة ، قال فقال له من

---

(١) لعله : فلقي . (٢) يريد عبدالملك وهذا يدل على ان رواية الفرج أصح .
(٣) يظهر أنه قد سقطت جمل ذكر فيها أشياء لا تفهم الحكاية الا معها .

حوله يبق [1] الله الشيخ ويفعل به ويصنع ، قال فانصرف من التربة ، فلما كان في اليوم السابع من ذلك الحديث قبض عليه أبو القاسم البريدي في يوم الخميس غرة شعبان سنة ٣٣٥ فاقام في يده دون ثلاثة أشهر ثم قتله في حبسه في شوال بحيلة احتالها له عبدان المتطبب لعنه الله في شيء سقاه، فقال ابو القاسم الآمدي : كنت حاضراً ابتداء المجلس ولما أخبر رؤياه تأولها تأولا غير ما وقع وهو ان نوم حسان في قبره سلامة متينة ، وان قعود أبي الحسن لان الحال التي بها مات أشد حال من [2] حسان ، لأنه فلج سنين فعاين مبتلا قد نقص صحته ورأى في نفسه ما لا يحبه ، وان وفاة أبي أحمد تكون بحال هي اشد من ذلك كله بحسب قعوده وقيامه في المشقة ، وفرق ما بين القعود والنوم والراحة ، فمات أبو أحمد مقتولا بعد الحبس والنكبة والفقر والذلة .

* * *

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافي الفقيه المتكلم المعروف بابن السماك رحمه الله قال : حضرت بشيراز عند قاضيها ابي سعد بشر بن الحسن الداودي وقد ارتفع اليه صوفي وصوفية قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً ، حتى يقال ان عددهم ألوف رجال ونساء ، قال فاستعدت المرأة على زوجها الى القاضي ، فلما حضرا قالت له : أيها القاضي ! هذا زوجي يريد ان يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال : فأخذ

(١) لعله يوبق . (٢) لعله من حال .

أبو سعد يعجبني من هذا الكلام وينبهني على مذاهب الصوفية منه . ثم قال لها : كيف ليس له ذلك ؟ قالت لانه تزوج بي ومعناه قائم ، والآن يذكر أن معناه قد انقضى مني ، وانا معناي قائم فيه ما انقضى ، فيجب أن يصبر الى ان ينقضي معناي فيه كما انقضى معناه مني . فقال لي ابو سعد : كيف ترى هذا الفقه ؟ ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق .

☆ ☆ ☆

أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس، ويحضر حلقته ألوف من الناس ، وانه فاره فيهم حاذق ، وانه قد استغوى الضعفى من الناس الى هذا المذهب ، قال فمات رجل صوفي من اصحابه وخلَّف زوجة صوفية ، فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمها غيرهن ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص اصحابه وهم عدد كثير الى الدار ، وأخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية الى قال : قد اعزبت فقال لها هاهنا غير ؟ فقالت لا غير ، قالت [1] فما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الانوار وتصفو الارواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات؟ قال فقلن النساء اذا شئت ، قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم . فلما كان سحراً خرجوا . (قوله هاهنا غير) اي هاهنا غير موافق في المذهب، فقالت (لا غير) أي ليس [2] يخالف . قوله (نترك الامتزاج)

(١) لعله : قال . (٢) لعله سقط من .

كناية عن الوطء من الممازجة وقوله (لتلتقي الانوار على اصلهم ان في كل جسم نوراً إلهيًا وقوله (الاخلافات) أن يكون لكل خلفٌ ممن مات أو غاب من أزواجكن. وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة أخبروني يبعدون عندي عن الكذب ماحكيته لعظمه عندي واستبعادمثله أن يجري في دار الاسلام . وبلغني ان هذا ومثله شاع حتى بلغ الامير عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جماعة منهم وشتت جموعهم فكفوا .[1]

* * *

لأبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان لما أسر :[2]

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعُ
ذدت الأسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباع

وله[3] الى سيف الدولة قصيدة اخترت منها قوله :

أيدرك ما أدركت إلا ابن همة يمارس من كسب العلى ماأمارسُ
يضيق مكاني عن سواي لأنني على قبة المجد المؤثل جالس

وقال[4] وقد حضر العيد وهو ببلد الروم أسير :

يا عيد ماجئت بمحبوبٍ على مُعنّى القلب مكروبِ
يا عيد قد عدت على ناظر عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربها أصبح في أثواب مربوب

(١) وفي كشف المحجوب ان ابن خفيف البغدادي كان أعف الناس .
(٢) ديوان ابي فراس ص ٤٦ (٣) ص ٤٢ (٤) ص ٨٩

قد طلع العيد على أهلها | بوجه لا حسن ولا طيبِ
ما لي وللدهر وأحداثه | لقد رماني بالأعاجيب

وله من الأسر قصيدة أولها :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ | اما للهوى نهي عليك ولا أمرُ[1]

ويقول فيها :

تكاد تضيءُ النار بين جوانحي | إذا هي أذكتها الصبابة والفكرُ
معللتي بالوعد والموت دونه | إذا متّ عطشاناً فلا نزل القطر
واني لنزال بكل مخوفة | كثير الى نزالها النظر الشزر[2]
واصدأحتى[3] ترتوي الارض والقنا | وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولا أُصبح الحي الخلوف بغارة[4] | ولا الجيش مالم يأته قبلي النذر
ويا رب دار لم تخفني منيعة | طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وحي رددت الجيش حتى ملكته | هزيماً وردتني البراقع والخمر[5]
وما راح يطغيني بأثوابه الغنى | ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره | إذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفر
أُسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى | ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئٍ | فليس له بر يقل[6] ولا بحر

ويقول فيها :

(١) الديوان ص ٩٠ (٢) ص ٩٢ (٣) في الديوان فأصدى الى أن .
(٤) في الديوان (الغيور لغادة) الحي الخلوف الخالي من الرجال (٥) هذا البيت ليس في الديوان (٦) في الديوان يقيه .

وقال أُصيحابي الفرار او الردى فقلت هما أَمران أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الاسر
ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عمرو [1]

☆ ☆ ☆

أَنشدني في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٦٦ أَبو سعيد مساعد بن الجهم الشيباني لنفسه قال وقلتها منذ نحو سبعين سنة وذكر لي أَن له في الوقت ستاً وتسعين سنة :

يا مقلة لحظها عقاربها سماء عيني دمعي كواكبها
تجول في حلبة [2] مشهورة يكبو بركبانها ركائبها
كأَنها والدماء تتبعها شهب خيول شقر جنائبها

انشدني في هذه الابيات شعراً جيداً في سنة ٣٦٢ (شهب [3] جنائبها) وهذا أَصح لأَنه أَراد به انه يبكي دمعاً ثم تتبعه دماء والدليل عليه قوله :
(كأَنها والدماء تتبعها)

☆ ☆ ☆

(يتبع)

---

(١) قال شارح الديوان وذلك أن عمراً (يعني ابن العاص) لما أدركه الامام علي وأراد قتله كشف سوءته لعلمه انه لم ير سوءة قط فكف. (٢) بالاصل : حيله
(٣) لعل الصواب شقر.

مخطوطات ومطبوعات

الحكيم موسى بن ميمون

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٥ — ١٩٣٦ ص ١٧٩

الاستاذ ابو ذؤيب من أساتذة الجامعة المصرية اثبت كفاءة في البحث والنظر في كتابيه تاريخ اليهود في جزيرة العرب وتاريخ اللغات السامية والآن جاء في هذا السفر يثبت كفاءة إلى كفاءته وبحثاً إلى عظيم ابحاثه فقد جود في الكلام على حكيم الاسلام والعرب أبي عمران موسى بن ميمون القرطبي المتوفى في مصر ١٢٠٥ م وكان رحل من الاندلس الى مصر في عهد السلطان صلاح الدين من اعتداء أعدائه وابناء نحلته اليهود وحل لديه ولدي مستشاره القاضي الفاضل المحلّ اللائق بعلمه وفضله · وقد حلل المؤلف حياته ومصنفاته بأسلوب جميل تكاد تعتقد اذا قرأته أنه لم يترك مصدراً افرنجياً ولا عربياً ولا عبرياً الا غاص فيه واستخرج درره وعرض فيها لمولد الفيلسوف ونشأته وأسرته وسيرته ووفاته ولمؤلفاته ولفلسفته ولا سيما كتابه دلالة الحائرين الذي كتبه بالعربية بحروف عبرية وخص الباب الرابع بمؤلفاته الطبية وقد قدم له الاستاذ المحقق مصطفى عبد الرازق باشا مقدمة قال فيها :

« في بعض كلام المؤرخين ما يشعر بأن صلة ابن ميمون بصلاح الدين الايوبي ووزيره القاضي الفاضل لم تكن مجرد تقدير لقيمة ابن ميمون في الطب والفلسفة بل كان السلطان الأيوبي ووزيره أيضاً يعرفان للحبر الفيلسوف مهارته وحذقه في شؤون السياسة » ويعرفان ما له « من المكانة والقبول عند يهود اليمن في تهدئة الثورات التي كانت تنزو بها تلك البلاد »

وأحسن المؤلف في تحليل كتابه « دلالة الحائرين » لابن ميمون ومما قال :

ومما لاشك فيه ان ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى انما

هو نتيجة لاتصال اليهود بالحضارة الإسلامية الفلسفية . وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية عامة . كان أول من اتصل بالفلسفة الاسلامية من اليهود سعديا الفيومي الذي أخذ بكثير من آراء المتكلمين الذين قرأوا فلسفة أفلاطون من تراجم رديئة في أغلب الاحوال وضعها لهم علماء السريان منذ القرن الثاني للهجرة ثم انتقلت الأفلاطونيات الحديثة إلى العربية ووجدت لها مناصرين من اليهود أغلبهم من الأندلس وعلى رأسهم الشاعر سليمان بن جبيرول والعالم ابراهيم بن عزرا . ثم كثرت تراجم كتب أرسطوطاليس الى العربية وأخذ الفلاسفة من المسلمين يضعون لها الهوامش والحواشي فأصبحت مبادئ أرسطو في الطبيعيات والكائنات من الألفاظ المرادفة للفلسفة عامة .

قال ان ابن ميمون درس الفلسفة اليونانية في التراجم العربية وتأثر بارسطاطاليس ودرس كتاب الاخلاق لأرسطوطاليس من ترجمة اسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة الى العربية مثل اسكندر الافروديسي وثمسيتوس ثامسطيوس ويحيى النحوي ، وصلت اليه نظريات ارسطاطاليس بواسطة المصنفات العربية الاسلامية مثل كتب الغزالي وابن باجة ابي بكر بن الصائغ وابن طفيل وثابت بن قرة والقبيصي وابن افلح الاشبيلي ومحمد بن زكريا ابي بكر الرازي والفرغاني ومحمد بن سنان البتاني الحراني والفارابي والمتكلمين من المسلمين ودرس المذاهب الإسلامية دراسة وافية ولا سيا المعتزلة والأشعرية والمتكلمين وبين ما بين هذه المذاهب وبين المذاهب اليهودية من الفروق في التوحيد

وقال الاستاذ ابوذئيب ان ابن ميمون كان يستعمل لغة عربية غنية بالمفردات بعيدة عن التكلف ولعلها من أجود ما أنتجه العقل اليهودي في أساليب النثر العربي وقد تشتمل عباراته على الفاظ عامية شائعة في اللهجات العربية بمصر والمغرب والأندلس ، وقال إنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود اثر تأثيراً عميقاً في حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين لان انصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرؤونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد .

ونقل عن غيره ان كتاب دلالة الحائرين هو الكتاب المتداول المرغوب فيه عند اليهود والمسلمين والمسيحيين وقال ان ابن ميمون بدأ فصول الاختتام بمثل رائع يعتبر ملخص نظرياته في التوحيد و المخلوقات و كيفية ادراك البشر للعلة الأولى حيث يقول : ولا يتضمن هذا الفصل زيادة معنى على ما قد اشتملت عليه الفصول الماضية وانما هو شبه الخاتمة لإدراك الحقائق الخصيصة به بعد ادراكه والارشاد لحصول تلك العبادة التي تلك هي الغاية الانسانية وكيف تكون الغاية في هذه الدار ، واني مفتتح هذا الفصل بمثل أضربه لك فأقول : « ان السلطان في القصر واهل طاعته كلهم ، منهم قوم في المدينة ومنهم خارج المدينة ، وهؤلاء الذين في المدينة منهم من قد استدبر دار السلطان ووجهه متجه الى طريق أخرى ومنهم من هو قاصد دار السلطان ومتجه اليه وطالب دخولها والمثول امامه ، لكنه الى الآن لم يرقط سور الدار ومن القاصدين من وصل الى الدار وهو يدور حولها يطلب بابها ، ومنهم من دخل الباب وهو يسير في الدهليز ، ومنهم من انتهى الى أن دخل قاعدة الدار وأصبح مع الملك في موضع واحد غير أنه لم يكن يراه ويكلمه ، ولكنه بعد دخول الدار لا بد له من سعي آخر يسعاه حتى يحضر بين يدي السلطان ويراه على بعد أو على قرب أو يسمع كلامه او يكلمه ، وهاءنذا اشرح لك هذا المثل الذي ابتكرته فأقول : اما الذين هم خارج المدينة فهم الذين لا عقيدة عندهم نظرية أو تقليدية . وحكم هؤلاء كحكم الحيوان غير الناطق . وما هؤلاء عندي في مرتبة الانسان وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الانسان واعلى من مرتبة القرود اذ قد حصل لهم شكل الانسان وتخطيطه وتمييز فوق تمييز القرد .

وأما الذين هم في المدينة واستدبروا دار السلطان فهم أهل رأي ونظر ولكن لهم آراء غير صحيحة إما من غلط وقع لهم في حال نظرهم او من خطإٍ في التقليد فهم من أجل تلك الآراء كلما ابعدوا في السير ازدادوا بعداً عن دار السلطان وهؤلاء شر من الأولين بكثير . وقد تدعو الضرورة في بعض الأزمنة لقتلهم ومحو آرائهم حتى لا يضلوا غيرهم

وأما القاصدون دار السلطان والدخول عنده لكنهم لم يروا قط الدار فهم جمهور اهل الشريعة من عامة الناس الذين يحافظون على فرائض الدين . وأما الواصلون الى الدار الذين يطوفون حولها فهم الفقهاء الذين يقلدون الآراء الصحيحة تقليداً ويتفقهون في العبادات ، ولم يلموا بنظر في اصول الدين ، ولم يبحثوا بوجه عن تصحيح اعتقاد .

فأما الذين خاضوا في النظر في اصول الدين فقد دخلوا الدهليز والناس هناك مختلفو المراتب بلا شك . فأما من حصل له البرهان على كل ما تبرهن وتيقن من الأمور الإلهية وقارب اليقين فيما لا يمكن فيه إلا مقاربة اليقين فقد أصبح مع السلطان في داخل الدار .

واعلم يا بني أنك ما دمت تشتغل بالعلوم الرياضية وبصناعة المنطق فانك تكون من جملة من يدور حول الدار يطلب بابها فاذا فهمت الامور الطبيعية فقد دخلت الدار وأنت تمشي في دهاليزها ؛ فاذا اكملت الطبيعيات وفهمت الإلهيات فقد دخلت إلى السلطان وأصبحت معه في دار واحدة ، وهذه هي درجة العلماء وهم مختلفو الكمال . فأما من امعن بفكره بعد كماله في الإلهيات ومال بجملته نحو الله عز وجل واضرب عما سواه ، وجعل افعال عقله كلها في اعتبارات الموجودات للاستدلال منها عليه ليعلم تدبيره لها على أي جهة يمكن أن يكون فأولئك هم الذين مثلوا في مجلس السلطان . وهذه هي درجة الأنبياء ... اما من فكر في الله واكثر من ذكره بغير علم بل قلد فيه غيره فانه خارج الدار وبعيد عنها لا يذكر الله حقيقة ولا يفكر فيه لأن ذلك الأمر الذي في خياله والذي يذكره بفيه ليس مطابقاً لموجود أصلاً ... »

محمد كرد علي

تطريب العندليب

اختار السيد جبران النحاس نبذاً من نظمه جمعه في كتاب قال في مقدمته انه جعل هذا النبذ ذكرى عهد صباه وذكرى الذين غابوا عن عينه بمغيب ذلك العهد ، وسمى مختاراته : تطريب العندليب ، وأهداها الى مؤدبه الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله .

ومن يدقق في مقدمة هذا « التطريب » يجد أثراً من بيان اليازجي لا يخفى على الذين عالجوا صناعة البيان ، وأكثر مختارات السيد جبران النحاس طائفة من قصص « لافونتين » التي عرّبها .

ومهما تكن منزلة الشاعر فليس من الهيّن عليه أن يعرّب قصص « لافونتين » وأن يفيض في تعريبه روح « لافونتين » وعبقريته ، لأن هذا الشاعر الفرنسي يكاد يكون منقطع النظير في فنه ، ولا سيما في تصوير الحيوانات ، فاذا نظرنا الى قِطاطه ، وإلى أرانبه وإلى مواعزه أو الى غيرها من الحيوانات فانا نجد انه يصور ظواهر هذه الحيوانات تصويراً واضحاً محدّداً لا يجاريه فيه أحد ، وقد أعانته على البراعة في مذهبه لغته الخاصة ، فان له لغة منتخبة ، قوية اقتبسها عن العامة ، وعن المتقدمين من اصحاب القصص ، ثم ألّف بين التعابير التي اقتبسها ، وصبها في قالبه الصافي ، ولئن لم يخترع موضوعاته اختراعاً فانه ألقى على مقتبساته ما جبله الله عليه من خصب في الطبع ، حتى ملئت بانفعالاته وبتجاريبه ، فعرفت قصصه بسهولة المبنى ، وببساطة التعبير ، ومن خصائص عبارته انه يبسطها اذا شاء ويقبضها اذا شاء ، على قدر الموضوع الذي يمارسه ، فتارة تنصب هذه العبارة فتسرع في انصبابها بحسب الشخص الذي تمثله ، وتارة تتمهل في مجراها طبقاً لمقتضى الحال .

فان شاعراً هذه عبقريته لا يهون على أي شاعرٍ كان من أمة غير أمته أن ينقل آثاره ويبرع في هذا النقل ، لأن « لا فونتين » نسيج وحده ، ولا شك في أن السيد جبران النحاس يعرف هذا الأمر ويعرف ان تطريب عندليبه خالٍ من خصائص لغة « لافونتين » وفنه ، على الرغم من بعد لغة هذا التطريب عن الركاكة .

شفيق جبري

تاريخ الرّقة ومن نزلها للقشيري

ظاهرية مجموع ٣٤ (١)

اسم الكتاب والمؤلف . —

« تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين جمع أبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني الحافظ » .[١]
والقشيري هذا حراني الاصل نزل الرقة ، وهو محدث مكثر من الحديث ، ثقة أمين[٢]، ثبت[٣]، حافظ ، عرف بتاريخه عن الرقة فوصف بأنه صاحب تاريخها[٤].
سمع الحديث قبل سنة ٢٨٠ التي توفي فيها شيخه هلال بن عمر ، ومات بعد سنة ٣٣٤ التي حدث فيها بكتابنا هذا[٥] ، وهو رأي السمعاني[٦] ويرى الذهبي ظنّاً انه توفي سنة ٣٣٤[٧] وعنه اخذ ابن تغري بردي[٨] وابن العماد فيما أظن[٩] ويقول بذلك بروكلمن[١٠] .

موضوع الكتاب : —

تاريخ الرقة هذا معروف عند علماء الكتب والمحدثين فقد ذكره حجي خليفة[١١] والسخاوي[١٢] والسمعاني[١٣] .وهو مجموعة تراجم لمن سكن الرقة او جاز بها من

---

(١) في و: ١/١ ويتلو ذلك : « رواية ابي احمد محمد بن عبدالله بن احمد بن القاسم بن جامع الدهان عنه ، رواية ابي عبد الله الحسين بن جعفر بن السلماسي عنه ، رواية ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد الصيرفي عنه ، رواية الامام الحافظ ابي طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد السلفي عنه، بقراءة شيخنا الجليل مسند الوقت بدر الدين ابي القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطفيل الدمشقي .»
وفي و : ١/١ : « في يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر من سنة احدى وثلاثين وستمائة
(٢) الانساب للسمعاني ٢٥٧ (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٢/٣٣٧ (٤) طبقات الحافظ للذهبي ٣/٦١ وقال ابن العماد : هو مؤرخ الرقة (٥) كما ذكر في و : ١/١
(٦) الانساب ، ٢٥٧ (٧) طبقات الحفاظ ٣/٦٢ (٨) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٠
(٩) شذرات الذهب ٢/٣٣٧ (١٠) GALS ١/٢١٠ (١١) كشف الظنون ١/٢٢٦ (١٢) الاعلان بالتوبيخ ، ١٢٦ (١٣) الانساب ٢٥٧ و ٢٥٧ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والمحدثين والفقهاء . والرقة مدينة في الجزيرة اشتهرت بأنها سوق تجارية ومصيف لبعض خلفاء بني العباس وقد كانت الرقة في عصر المؤلف تضم بلدتين مختلفتين وهما الرقة والرافقة [1] اتصل بناؤهما في عصر الرشيد وكونتا بلدة واحدة سميت بالرقة وقد يقال الرقتان اشارة الى وجود بلدتين فالكتاب تاريخ للرقتين كما يقول السمعاني [2] : الرقة الأصلية والرافقة . وهو من اول ما ألف في تاريخ البلدان الاسلامية ، فقد حدث به المؤلف سنة ٣٣٤ [3] وهو لذلك عظيم الفائدة يظهر لنا كيف أن التاريخ الاسلامي خرج من الحديث فان كثيراً من التراجم التي وردت فيه جاءت بمناسبة حديث ذُكر اسم المترَجم في درج سنده حتى إن قصة عن ابي أيوب ميمون بن مهران (٤٠ — ١١٧) الذي ترجم له المؤلف مطولاً [4] وردت في ترجمة أبنه عمرو [5] ، لأن هذا هو الذي رواها ولم تذكر في ترجمة صاحبها كما تقتضيه جودة التأليف .

أما ترتيب الكتاب فهو على الطبقات ويكاد يكون على الوفيات لولا شذوذ بسيط وعناية من المؤلف بايراد الاقارب حيناً بسلسلة متقاربة الحلقات . وأهم مصادر المؤلف واكثرها منقول عن ابي عمر هلال بن عمر بن هلال بن ابي عطية (١٨٤ — ٢٨٠) شيخ المؤلف وكثيراً ما يقول القشيري سألت ابا عمر عن فلان فأجاب بكذا . وهو يعني عناية خاصة بذكر القبيلة التي تتولى المترجم ان كان مولى

نصوص من الكتاب . —

و : ١/١ [2] وبه يبتدئ : حدثنا ابو داود سليمان بن سيف الحراني ، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين ، حدثنا سليمان بن عطا عن ابيه عمن شهد عياض بن غَنْم حين بعثه ابو عبيدة بن الجراح (ر ه) الى الرُها فوقف على بابها الشرقي علي

(١) معجم البلدان لياقوت ٢:٧٣٤ ، ٢ : ٧٩٩ ، ٢ : ٨٠٤ . ولم يبق في عصر ياقوت إلا الرافقة مدينة واسماً . وهذا ما يحل لنا وجود ورقة الصقت على الصفحة الاولى من كتابنا وكتب عليها : « الرقة هي الرافقة » (٢) الانساب ٢٥٧ [1] (٣) كما في و : ١/١ [2] (٤) و : ٥ [1] — ٩ [2]

(٥) و : ١/١٣ .

فرس له محذوف احمر ، وقد أجفل اهل الجزيرة الى الرها ، فدعاهم الى الاسلام فأبوا ، فدعاهم الى ان يقروا بالصغار [١] ، فأقروا على ان يشترطوا ، فاشترطوا : قالوا فانا نشترط كنايسنا وصليبنا وما لجأ الى كنايسنا من طير وسور مدينتنا ، وما كان لكنايسنا من غلة علي ان نؤدي خراجها ، فقال عياض : فانا نشترط عليكم ، قالوا : فاشترط ، قال : فاني اشترط عليكم ... [ألا تبنوا] [٢] كنيسة الا مافي أيديكم ، وألا يرفع صليب ، ولا يضرب بناقوس الا في جوف كنيسة ، وعلى ان نشاطركم منازلكم ينزلها المسلمون ، وعلى ان لا يعتبر خنزير بين اظهر المسلمين ، وعلى أن تقروا ضيفهم يوماً وليلة ، وعلى ان تحملوا راجلهم من رستاق الى رستاق ، وعلى ان تناصحوهم ولا تغشوهم ولا تمالئوا عليهم عدواً ، فان وفيتم لنا وفينا لكم ومنعناكم مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا ، وان انتهكتم شيئاً من ذلك استحللنا سفك دمائكم وسبي ابنائكم ونسائكم وأموالكم ، قالوا . فاشهد ، قال : فكتب اشهد الله وكفى بالله شهيداً ، فدخل اهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها [٣]

و : ١/٨ : حدثنا محمد بن علي المزني ، حدثنا ابو يوسف ، حدثنا عثمان عن ابي المهاجر عن اسحق بن راشد عن ميمون بن مهران قال : لم يكن يلبس الاقبية فيمن مضى من السلف الا فساقهم

و : ٣/٢ حدثنا جعفر بن محمد بن حجاج القطان قال سمعت عبيد بن زناد يقول سمعت عطا بن مسلم الخفاف يقول قدمت الرقة ، فجلست في سوق الاحد ، فذكرت فضايل

(١) الصغار [من اصغره اي جعله صاغراً] اعطاء الجزية عن يد ، وهم صاغرون (٢) لم تظهر الكلمة الاصلية فعوضناها بمعناها (٣) ورد في فتوح البلدان للبلاذري [طبعة دي غويه ص١٧٣ و ١٧٤] صورتان مختلفتان عن الكتاب الذي أعطاه عياض بن غنم لاهل الرها فاذا هما متضبتان ولا تخرجان في شيء عما ورد في هذا الخبر ووردت صورة أخرى في كتابنا وأولها : عن العلاء بن أبي عايشة قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الرها فجاء في كتابه انه بلغني ان عند أهل الرها صلح الجزيرة فابعث حتى انظر فيه ، قال فبعثنا الى اسقفهم حتى أتاني به في درج [.] فقرأته فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لاهل الرها واهل الجزيرة من عياض بن غنم عامل عمر بن الخطاب (ر .) قد اتاها حتى وقف على بابها الخ كما ورد في سياق ما نقلناه هنا مع اختلاف بسيط في ترتيب الجمل والتعبير ، وما نقلناه اكثر تفصيلا .

علي رضي الله عنه ثم غدوت على جعفر بن برقان فقال : يا عطا ، بلغني انك جلست مجلساً ذكرت رجلاً من اصحاب محمد عليه السلام بفضيلة لم تشرك معه غيره ، فقلت : يرحمك الله ، ان اخاك سفيان بن سعيد الثوري قال : اذا قدمت الى الرقة ، فاجلس في سوق الاحد ، واذكر فضايل علي ، فان الاباضية بها كثير ، فقال جعفر : يا عطا اذا جلست مجلساً فذكرت رجلاً من أصحاب محمد ﷺ بفضيلة فأشرك معه غيره ، قال عبيد : وكانت سوق الاحد في غير هذا الموضع كانت عندنا بالرقة

و : ٢/٥[1] حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي ، حدثنا صالح الحوري ، جد الحوريين — قال هلال هم من قرية بيننا [...] يقال لها حورة — قال كنت في المسجد الى جنب ابي المهاجر الكلابي (— ١٦١) فقرئ علينا كتاب لبعض الخلفاء على المنبر يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر [...] فلما فرغ من قراءة الكتاب ضرب فخذي وقال : يا عبدُ — وكانت كلمة ندائه [..] مثلنا ومثل صاحب هذا الكتاب مثل ذئب خرج [.] بالليل فوقف على باب ، فاذا صبي في الدار يبكي ، وامه تقول له : اسكت ، والا القيتك للذئب ، والصبي يتمادى في البكاء ، والذئب ينتظر حتى فضحه الصبح ، فولى مدبراً فلقيه ذئب آخر ، فقال : اين تريد ، فقال : إلى أهل الرقة ، فقال لا تأتهم ، فانهم اكذب قوم على وجه الارض .

و : ٣/١٣[1] سعد بن يحيي بن يزيد بن عبد الحميد بن يحيي بن سعد ، وكان عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر بني أمية — وهو صاحب الرسائل المنسوبة اليه — فأخبرني ابو يعلى عابد الله بن احمد بن علي بن عمر بن عبد الحميد انهم من سبي القادسية ، يتولون عامر بن لؤي[(1)] ولد سعد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

فصول الكتاب :

١/١[1] — ٢[1] شروط الصلح على الرها ٢/١[1] من نزل الرقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٤[1] ومن التابعين ١/١٠[1] بعد طبقة التابعين ١/١٣[1] وهو آخر الجزء

(١) ذكر ابن خلكان [١ : ٣٠٧] ان عبد الحميد مولى بني عامر بن لؤي ولكنه لم يذكر ان أصله من سبي القادسية .

الاول : بلغني انه يحشر من ظهرها سبعون الفًا يدخلون الجنة بلا حساب فأحب ان اموت بها فمات ودفناه بها ٢/١ٮ وهو أول الجزء الثاني : اخبرنا الشيخ الجليل بدر الدين الخ ... قال : عبيدالله ابن الاصم ٢/٩ٮ آخر الجزء الثاني من كتاب تاريخ الرقة ٣/١ٮ وهو اول الجزء الثالث : اخبركم الشيخ الامام الاوحد الخ ... قال : فرات بن السايب ٣/١ٮ ومن الشيوخ الذين ليس لهم شهرة ٣/١٤ٮ : آخر كتاب تاريخ شيوخ الرقة .

وصف النسخة :

النسخة في حال سيئة لغياب كتابتها في محلات عديدة في الجزء الأول والثاني ولأن الورق كشط في محلات أخرى من هذين الجزئين ، عدد أوراقها بالتتابع للأجزاء الثلاثة ١٣+٩+١٤=٣٦ ورقة خلا الاوراق البيض الملحقة بالكتاب والتي لم ترقم في الاصل ، ابعادها ١٧٫٥×١٣ سم مع هامش قدره ٢٫٥ سم . عدد أسطرها حوالى ١٩ سطراً في كل صفحة ، حبرها ناصل وقد غاب في محلات عديدة كما قلنا ، وقد استعمل في بعض السماعات حبر آخر جيد ظهر واضحًا . وأعيد في بعض الاماكن التي غاب الحبر فيها معالم الكتابة الاولى بخط حديث ، وفي الاعادة اغلاط كثيرة وترك قسم بلا اعادة . الخط مقروء في المحلات التي ظهر فيها الحبر وصعب فهمه في المحلات الاخرى . وهو متوسط الحرف . وقد أشير بخط أحمر الى ابتداء التراجم ، وأخطأ المؤشر حينًا ولم يشر الى ابتداء فصول الكتاب ، يبتدئ كل خبر بكلمة حدثنا مد فيها حرف الحاء ، وانتهى كل خبر باشارة فاصلة .

تاريخ النسخة :

كتب النسخة لنفسه محمد بن داود بن ايوب الصارمي بالقاهرة (١) قبل او في سنة ٦٣٠ (٢) نقلها من نسخة عليها سماع على الحافظ السلفي سنة ٥٧٣ (٣) . وعلى نسختنا سماع على بدر الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الطفيل الدمشقي سنة ٦٣١ (٤) وآخر

(١) و : ١ : ١٣ٮ و:٣ : ١ٮ (٢) كما يدل على ذلك سماع حضره [و:١ : ١٣ٮ ، و: ٢ : ١٠ٮ] (٣) و:١ :١٣ٮ ، و:٢ : ٩ٮ ، و:٣ : ١٤ٮ (٤) و:١ : ١٣ٮ ، و:٢ : ١٠ٮ

على عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع سنة ٦٩٠ (١) وثالث على يحيي بن محمد ابن سعد الدين عبد الله المقدمي سنة ٧١٩ (٢) وقد وقفت هذه النسخة بالعمرية (٣) ومنها انتقلت الى الظاهرية ، وذكرها بروكلمن (٤) عن الزيات ولم يذكر غيرها ·

يوسف العش

ضريبة الدخل في سورية

رسالة قدمها الاستاذ فريد الخاني لاحراز الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريز سنة ١٩٣٩ وتقع في ٢٣٤ صفحة

ورثت سورية الحديثة عن الدولة العثمانية في جملة ما ورثته من نظمها وقوانينها ، نظامها المالي فأخذت به كما هو على الرغم من تبدل الزمان وتغير مظان الأرباح ومطارح الوزائع ومنابع الثروة · وكانت اذا ألحت عليها الحاجة الى المال فاهابت بها الى وضع تشريع جديد تبني على الأساس القديم مبتغية كثرة الجباية وحدها دون نظر الى اثر الضريبة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ·

وضريبة التمتع التي لا تزال سورية تفرضها على أصحاب المهن الحرة لتطول ارباحهم جزء من هذا النظام وهي نظير ضريبة الباتنتا التي أخذت بها فرنسا أيام ثورتها واذ لم تعد تأتلف مع حاجات العصر طالب الرأي العام في سورية بالغائها وابدالها بضريبة تدعي بضريبة الدخل ، وكانت رسالة الأستاذ الخاني صدى لهذه الرغائب وصورة لهذه الأفكار ، فأحسن في اختيار موضوعه إحسانه في بسطه وتفصيله ·

بحث المؤلف في المقدمة في النظريات العامة الحديثة للضرائب ومطرحها وانعكاسها والعدالة فيها ثم عرض نظام الضرائب في سورية عرضاً عاماً ناقداً وانصرف بعدئذ الى بحث ضريبة الدخل في تاريخنا التشريعي · فبدأ بدراسة نظام الضرائب في الشرع الاسلامي ووقف طويلاً أمام الزكاة يتساءل عما إذا كانت ضريبة على الربح أم على رأس المال ويجنح الى أنها ضريبة على الدخل وهو رأي كان جنح اليه الدكتور

(١) و:١:١٣ب (٢) و:١–١٣ب و:٢–١٠ب (٣) و:١:١أ (٤) GALS ١:٢١٠ وقال ان Horovitz وصفها في MSOS ، ١٠:٣٢

محسن البرازي في رسالته عن (الاسلام والاشتراكية) . وأيد المؤلف قوله هذا بأن هذه الضريبة وهي ربع عشر المال في بعض الأحيان وأقل من ذلك في أحوال أخرى تعادل عشرة في المائة من الدخل وهي نسبة ضئيلة لا يمكن ان تدعى ضريبة على رأس المال لا سيما والأستاذ اليكس لا يرى ضابطاً للتفريق ما بين ضريبتي الدخل ورأس المال سوى مقدار النسبة المفروضة فان كانت كبيرة تقتطع جزءاً من رأس المال فهي ضريبة عليه والا فهي ضريبة على الدخل . والشارع الاسلامي انما فرضها على رأس المال في كثير من الأحوال لأنه كان أسهل معرفةً وتحققاً من الدخل وكان يستهدف الدخل وحده .

ثم بحث في ضريبة التمتع ايام الدولة العثمانية وراقب تطورها حتى انحلت هذه الامبراطورية وخلفتها تركيا ومصر والعراق ولبنان وسورية وفلسطين وشرق الأردن فيدرس ضريبة الدخل التي قامت مقامها في أكثر هذه البلاد ، وأخيراً يتصدى لبحث ضريبة التمتع في سورية وما تعاورها من تغيير وتبديل ويذكر نقائصها ومواضع النقد فيها . والواقع ان هذه الضريبة لم تعد تتفق وقصد العدالة والمساواة بين المكلفين لذلك عمت الشكوى منها فقررت الحكومة السورية في سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة فنية لدراسة نظام الضرائب في سوريا ولا سيما ضريبة التمتع واصلاحها أوابدالها بسواها ونتج عن دراسات اللجنة ان تقدمت الحكومة الى المجلس النيابي بمشروع قانون في ١٣ دسمبر ١٩٣٨ يقضي بابطال ضريبة التمتع والاستعاضة عنها بضريبة اسميت « ضريبة الدخل » وقد درس المؤلف هذا المشروع وأبان نقائصه وأخذ عليه أنه لم يتبع كل النظريات الحديثة التي اتبعتها البلاد الغربية في هذا السبيل .

ثم يختم رسالته مطالباً بإصلاح مالي عام ينتظم نواحي الحياة المالية كلها ويعول في فرض الضريبة على المكلف بحسب طاقته مع مراعاة المساواة بين المكلفين ويرى ان « الترقيع » في الإصلاح مليئ بالمخاطر لأنه يؤدي الى اخضاع الناس لنظم متناقضة متناكرة بعضها جديد وبعضها عتيق استبدادي . والرسالة تتضمن كثيراً من النصوص القانونية وتنبئ عن جهد واضعها وسعيه للاتقان وهي باكورة تبشر بأطيب الثمار .

احمد السمان

ملوك الطوائف

ونظرات في تاريخ الإسلام

للعلامة دوزي مترجمة بقلم الاستاذ كامل كيلاني

كتاب بالقطع المتوسط يحتوي على ٤٤٦ ص ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م — ١٣٥١ ه
بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، بورق وطبع جيدين

يقول الأستاذ كامل كيلاني في تصدير هذا الكتاب : هذه فصول مترجمة من كتاب العلامة المستشرق « د و ز ي » وقد آثرنا نقلها الى العربية لتبيان وجهة تفكير عالم اوروبي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا أحيانا في بعض مناحيها — جديرة أن تقرأ بعناية فائقة ، فليس كل مالا نرضاه من الآراء خليقاً بالطرح والاهمال .

واذا كان العلامة « فخر الدين الرازي » يقول في مقدمته لشرح « الاشارات » لابن سينا : « ان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » فما اجدرنا ان نقول بدورنا : « الترجمة ايضاً غير النقد » .

لهذا اقتصرت على نقل آراء ذلك المستشرق بلا مناقشة او تعليق الا ما يقتضيه المقام من توضيح لما اعتقد ان اكثر القراء في حاجة اليه . هذا كلام الأستاذ المترجم في تصدير ترجمته .

والكتاب يحوي على نوعين من الأبحاث : (١) تاريخ ملوك الطوائف التي قامت في بلاد الأندلس ، (٢) نظرات في تاريخ الإسلام

تاريخ ملوك الطوائف في الأندلس

الكلام على هذا النوع من ص (٦ — ٣٢٤) وقد ابتدأ المؤلف كلامه با نهيار الخلافة الاموية في الاندلس وانقسامها الى عدة دويلات حكمها بعض القواد الطامحين وان فائدة ذلك كانت محصورة بملوك الافرنج وحدهم فاستطاعوا ان يزيلوا من الوجود هذه الدويلات الواحدة تلو الأخرى ويستولوا عليها كلها .

والكتاب يحتوي على اثنى عشر فصلا ، كل فصل يحوي بحوثا مختلفة يتكلم فيها باسلوب رشيق عن بعض ملوك الطوائف وعواصمهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية

والأدبية ، وهذه نماذج لبعض الأبحاث التي في الفصل الأول : نشأة ملوك الطوائف نتائج الغاء الخلافة ، اسبانيا بعد عبد الرحمن الثالث ، تكوين حكومتين شوريتين ، وصف كاهن قرطبة لانصراف ابناء دينه الى العرب ، قرطبة تمكن الثقافة الاسلامية من نفوس المسيحيين الاسبان ، ميزات الشعر العربي في أوربا ، تولية ابن جهور على قرطبة الخ .

وينتهي الكتاب بالفصل الثاني عشر الذي يبحث فيه في طمع الاذفونش في الجزيرة ؛ واستنجاد المعتمد بن عباد بملك المرابطين يوسف بن تاشفين ثم انتصار جيش الاندلسيين والمرابطين على جيش الاذفونش وانهزامه ويذكر بعد ذلك جداول منسقة تحتوي اسماء ملوك الطوائف واسماء عواصمهم وبه ينتهي البحث عن الاندلس وهذه الفصول جميعها جيدة غير أنه ينقصها التنسيق والترتيب .

نظرات في تاريخ الإسلام

وهو فصل في (٩٤ ص) ختم به الكتاب . تكلم فيه عن دين الاسلام وقواعده وأسباب انتشاره وتطوراته افتتحه بالكلام على ديانة العرب في الجاهلية واعتقادهم بالجن ، وعلى مكة ، والكعبة والحجر الاسود . وتكلم عن اليهودية والنصرانية ، والديانات الفارسية ،وصلتها جميعاً بالاسلام ، وصلة الاسلام بها . واحتكاك الاسلام بأمم وشعوب وديانات واحتكاكها به حتى صار له ظاهرة قوية عمل على ايجادها جميع هذه المؤثرات . وتدريج الدين الاسلامي ، وبيان تطوراته هو من مبتكرات العلماء الغربيين ، ولا شك بأنه علم حديث العهد لم يصل بعد الى درجة النضج ، ولذلك فان بعضاً من ابحاثه ونظراته تحتاج الى اعادة درس واعمال فكر ، خصوصاً وان كثيراً من المصادر الاسلامية لم يكتب لها التنسيق والنشر ، ولعل هذا هو السبب في التواء قلم الاستاذ « دوزي » في بعض الابحاث مثل قوله ص ٣٩٠ : « ولم يكن عهد الامويين الا عهداً تمثل فيه الرجعية والانتصار للوثنية ، وكان خلفاء بني أمية أنفسهم — الا القليل النادر منهم — لا يعنون بنصرة هذا الدين ولا يخلصون له الخ » . وكذلك ما نسبه الى عمر بن الخطاب ص ٤٠١ : بأن سن للنصارى قانوناً

يحوي اذلالهم ومهانتهم ، ولم يسمح لهم بانشاء الكنائس والمعابد ، الخ مانسبه اليه فبعضه باطل لا يصح ، وبعضه لم يفهم المراد مما قصده عمر ، ولعلي اعود الى إيضاح وبيان ذلك في العدد المقبل .

محمد أحمد دهمان

الشريف الرضي

تأليف الاستاذ الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء

طبعته مطبعة المعارف ببغداد ونشرته دار النشر والتأليف في النجف ١٣٦٠ — ١٩٤١

كتاب في مائتي صفحة ، تناول فيه مؤلفه حياة الشريف الرضي بالدرس . فذكر ميلاده ونشأته ودراسته ، وأسهب في تبيان مغرسه ورهطه وعشيرته ، وعدّد وظائفه في الدولة : كتوليه شؤون النقابة وردّ المظالم ، وإمارة الحج ، والنظر في أمور الطالبيين .. وغيرها . وجلى عن عقيدته : كالتلهف على ذكرى الأئمة الاثنى عشر ، ورواية كرامات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتهشيم عظام الأمويين ، والصاق الذم بهم ، والطعن على العباسيين .

وسرد من صفاته : الإباء ، والأنفة ، والغيرة ، والعفاف ، والحفاظ ، والطموح وترفعه عن المآثم ، وابتعاده عن الخلاعة ، ورفضه الصلات .

وذكر انه كان عالمًا أديبًا شاعرًا . يعرف الفقه الإسلامي .. ثم سرد مؤلفاته ، وأبان عن صلاته بالأدباء والملوك والوزراء ، وساق لمحًا عن شعره وشعوره .

وخطة المؤلف في جمع أخبار الشريف على هذا الوجه ، مصيبة ، فله منا التهاني . غير أن هناك ملاحظات لا بدّ منها وها كهيا :

١ : في الكتاب اضطراب وعدم ترتيب . مثال ذلك انه يضع ابواب شعره في باب صلاته بالأدباء . ويترجم لأمه في باب نيابتها الخلافة في دار السلام ... وغير ذلك ...

٢ الايجاز في الأمور ذات الشأن والإطناب في غيرها . فقد ذكر المؤلف الفاضل لمحًا موجزات عن شعره . واعتذر بأن شعره يتطلب دراسة واسعة . ولقد وددنا لو ضم الأستاذ الى تلك الأخبار الجياد التي جمعها دراسة عن شعر الشريف ،

فحلل وجدانياته ومجازياته ووصفه وحكمته ، ومديحه ورثاءه ، ونجواه وشكواه ، واحاديث الليالي التي قضاها مع الأحبة ، وحقيقتها ، وأبرز ما في ذلك كله من جمال وفن وعبقرية . واعتقد أنه حان لنا ، أن ننبذ الطريقة القديمة في دراساتنا . فهم يهملون آثاره وانتاجه ويعنون بأشياء أقل شأناً . وأغلب الظن أن الشريف الرضي لم يخلده — في الأدب — نسبه ولا آباؤه .. وإنما أخلده شعره وعظمته فيه وسموّه .

٣ً : في الكتاب بعض غمزات كان ينبغي للمؤلف تجنبها ، لكي يزيل الأوهام التي يتمسك بها الشيعة وأهل السنة . وعهدنا بآل كاشف الغطاء الاكارم يسعون لإزالة النفور بين الفريقين . مثال ذلك عجبه من الشريف ، لأنه لم يذكر الشيخين بسوء ... ! ثم يتساءل : « فهل كان الشريف يرى ان الخلافة أمر والإمامة شأن . وأنه قد يقوم بأعبائهما شخصان . فهذا إمام للناس من الله (كذا) . وذلك خليفة من الناس لرسول الله .. » ! ! اه

٤ً : قال الأستاذ (١٣٧) : « ان الشريف كان يترفع عن مغازلة الغواني » ...
وهذا قول غريب ، فشعره مترع بمغازلة الغواني حتى لتحسب في احايين كثيرة انك بين يدي عمر بن أبي ربيعة ، ومقطوعاته في هذا الضرب ، من اجود شعره . فلتلتمس في الديوان .

٥ً : في الكتاب هنات لغوية منثورة في أضاعيفه . منها :

ص	الخطأ	الصواب
١	اليك كلمة	هاك كلمة
٣	رضخ للمبدأ	اذعن . لأن رضخ معناها اعطى و كسر
٧	الثورويه	الثورية
٣	سورة الحماس	سورة الحماسة
٤	المظلومية	الظلم
١٧	يحرّق لهم الأرّم	(ليست بمكانها وليس هذا استعمالها)

ص	الخطأ	الصواب
٢٠	نفس .. تتلمض	والصواب تتلمظ
٢٢	أثرت على	أثرت في
٢٣	يتكظم غيظه	يكظم غيظه
٢٤	يكفه بأمثال ذلك	يكافه امثال ذلك
٣٥	تجد الشريف يتشمخ	يتشامخ او يشمخ
١١٢	عرف الفقه الجعفري لصلاته الالوهيه	الإلهية

وغير ذلك ...

من المستدرك ولم نكن من شيء أسر منا في ان المستدرك بيدنا وان الاصل المخطوط ومافي المستدرك تطابقا وهذا اشد ما يغبط الناشر كما يعرف ذلك كل محقق عانى ما عانيناه ٠ فجاء هذا يزعم أنها في الاصل المخطوط (حبة) لا (حبيبة) ولو سأل اي مناول في دار الكتب لقرأها له على صحتها ٠ وأقل ممارسة لخط الزركشي تدل صاحبها على أن الاسنان في هذه الكلمة ثلاث لا واحدة والصفحة مصورة في كتابنا يرجع اليها من شاء ٠ ولعل عذر الكاتب سوء النظر ٠ وأحر بمن يطمح إلى إبداء رأي في عمل كنشر (الاجابة) للزركشي ان يحسن القراءة ويتلقى الكتاب على من يحسن تلقينه ، قبل الاقدام على عرض الآراء على ما خيلت ٠

٤ — قوله : « وهم العلامة الاستاذ كرنكو ٠ ٠ ٠ » غير صحيح البتة ، فلم يخطئ كرنكو في وفاة البزار ، وهذا كتابه محفوظ عندي وفيه سنة الوفاة (٢٩٢) ، وإنما تحرفت في الطبع ثم سارعت المجلة الى تصحيحها في (م ١٦ ص ٤٨٠ قبل صدور كلمة الكاتب بأكثر من شهرين ، واشارت إلى ذلك ايضاً في (م ١٦ ص ٥٨٨) في جدول الخطأ والصواب ٠ وليس من المروءة التسرع في اتهام المحسنين ٠ وقليل من الانصاف وإبصار الحق يزين صاحبه ٠

ب — وأما الصواب : ففي سقوط الف (ابو الفضل ابن حجر) ، وفي ان (ابو حجاج) في الأصل (ابو الحجاج) ، وفي ان ص ١٦٥ في الفهرس صوابها ١٦٦ ، وفي انتباهه الى الخطأ في (حفصة بن عمر ام المؤمنين) و (شرح جامع الجوامع ، و (الصباح المنير) الواردات في فهارس الكتاب ، فقد استطاع ان يعرف ان الصواب في الأولى (حفصة بنت ٠٠) وفي الثانية (شرح جمع الجوامع) وفي الثالثة (المصباح المنير) لكنه لم يعرف أنها وردت على الصواب في عدة مواضع من الكتاب ٠ ولست أدري هل هذا مما يلاحظ على اخراج كتاب كان السطر الواحد أحياناً يقذي عين ناشره نهاراً وطرفاً من الليل حتى يعثر على صوابه في مظان موثوقة ؟
لست أدري وإنما علي أن أشكره مهما كانت نيته والدافعون له فقد أتعب نفسه جداً وحسبك انه اختبر نحواً من (٢٤٠٠) رقماً في الفهرس حتى وجد أن ص ١٦٥ صوابها ١٦٦ ٠ وللقراء بعد أن يحكموا بما وجدوا ٠

آراء وأنباء

نظائر أخر لتكملة الجواليقي

حينما نشر الاستاذ عز الدين التنوخي كتاب « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » لأبي منصور الجواليقي ، قال في المقدّمة ، إن لهذا الكتاب نظائر ، وقف على خمس منها وأورد أسماءها[1] .

ثم تلاه الأستاذ صلاح الدين المنجد فكتب نبذةً في هذه المجلة[2] ، ذكر فيها أسماء ستة كتبٍ أخرى في هذا الباب .

فكان ما توصل اليه الكاتبان في موضوع ما يلحن فيه العامة ، أحد عشر كتاباً خلا التكملة .

وقد عثرت أثناء مطالعاتي ، على أسماء كتبٍ أخرى من هذا القبيل ، أذكرها فيما يلي ، لتضاف إلى ماوقف عليه الفاضلان :

١ — البهاء فيما يلحن فيه العامة[3] ليحيى بن زياد الفرّاء النحوي ، المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة .

٢ — ما يلحن فيه العامة[4] لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي المعروف بثعلب ، المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

٣ — ما يلحن فيه عوام الاندلس[5] : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي النحوي . مات سنة ٣٧٩ ، وقيل ٣٨٠ ، وقيل ٣٩٩ للهجرة .

---

(١) التكملة [ص ٣] .　　(٢) مجلة المجمع (١٦ [١٩٤١] ص ٢٨٧ — ٢٨٨) .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ : ٣٤٠ طبعة بولاق الأولى) . وبغية الوعاة للسيوطي ص [٤١١] . وكشف الظنون للحاج خليفة [٥ : ٣٥٧] طبعة دلوجل في لندن ، أو ٢ : ٣٧٠ طبع استانبول) .　　(٤) وفيات الاعيان [١ : ٤٢] . وكشف الظنون [٥ : ٣٥٧ أو ٢ : ٣٧٠] .

(٥) بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس للضبي [ص ٥٦ ، الرقم ٨٠] . ومعجم الأدباء لياقوت [٦ : ٢١٩ طبعة مرجليوث] . وبغية الوعاة [ص ٣٤] . وكشف الظنون [٥ : ٣٥٧ أو ٢ : ٣٧٠] .

٤ — ما تلحن فيه العامة [١] : لأبي الخير سلامة بن غيّاض بن أحمد الكفرطابي [٢] النحوي . مات سنة ٥٣٣ هـ .

٥ — ما يلحن فيه العامة [٣] : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

(بغداد) كوركيس عواد

المغرب في ترتيب المعرب

وقفت ، لدى الاستاذ الرصافي ، على اجزاء المجلد السادس عشر من « مجلة المجمع العلمي العربي » فقرأت في الجزء الثاني [٥٨ — ٦٥] كلمة للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن كتاب « المغرب في ترتيب المعرب » يفهم منها أنه لم يقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه النسخة الخطية التي نسخها حسام النجاري سنة ٩٩٧ هـ وهي التي وصفها في مقاله ونقل نخبة صالحة منها . وبعد ان فرغ من وصفها ذكر شبيهاً لهذا المؤلف وهو كتاب « المعرّب » للشيخ الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ثم قال : « ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات . »

بعد أن قرأت كلمة الأستاذ المعلوف تصفحت أجزاء المجلد كلها فلم أرَ من تحدث عن هذين الكتابين الجليلين اللذين يرى الكاتب أن المشتغلين باللغة في مسيس الحاجة اليهما . فرأيت ، وقد وقفت على كتاب « المغرب » أن أقول كلمة فيه .

إن هذا الكتاب مطبوع . وبين يديّ ، وأنا أكتب هذه الكلمة ، نسخة منه . وقد طبع بمدينة حيدر آباد الدكن بالهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢٨ هـ

(١) معجم الادباء [٤:٢٦٦] . وبغية الوعاة [ص ٢٥٩] . (٢) ما في بغية الوعاة الكفرطائي ، وهو تحريف . والكفرطابي نسبة الى كفرطاب ، بلدة بين المعرّة وحلب . (٣) كشف الظنون [٥ : ٣٥٧ أو ٢ : ٣٧٠] .

وهو جزءان يحتوي الأول على (٣١٢) صفحة ، وينتهي بحرف « الصاد مع الياء التحتانية » ويتألف الثاني من (٣٢٤) صفحة ويبدأ بـ « باب الضاد المعجمة » وذيل المغرب (وهو رسالة في النحو) يشغل من جزئه الثاني الصفحات من (٢٨٥) إلى (٣٢١) والصفحات الثلاث الباقية تتضمن فهرس مضامين الذيل .

وبعد هذا الفهرس ست عشرة صفحة منها أربع عشرة صفحة لترجمة المؤلف ، وفي الخامسة عشرة فهرس الجزأين من « المغرب » وفي السادسة عشرة قائمة بمطبوعات دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن .

يبدأ المؤلف فاتحة الكتاب (في الصفحة الثانية من الجزء الأول) بعد البسملة بقوله :

« وأحمده على أن خوّل جزيل الطول . وسدّد للإصابة في الفعل والقول ... »

وعلى قوله « وأحمده » قال المصحح في أسفل الصفحة « كذا في النسخ الأربع الموجود بالواو فلعلّ المصنف عطف الحمد على متعلق البسملة والله أعلم »

أما البحث في (الزنديق) الذي وجده الاستاذ المعلوف في صدر الكتاب قبل المقدمة ونقله في مقاله فلا أثر له في الكتاب المطبوع ولا إشارة إليه .

وبين تأريخي ولادة المؤلف ووفاته اللذين ذكرهما الاستاذ المعلوف وبين التأريخين اللذين في الصفحة الأولى من الكتاب اختلاف . ففي المقال أنه ولد سنة ٥٣٦ وتوفي سنة ٦١٠ هجرية وفي الكتاب المطبوع « ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦١٦ قاله ابن خلكان »

وقد رأيت اختلافاً بين النخبة التي انتخبها الكاتب منه وبين ماجاء في الكتاب المطبوع

أما الرسالة التي جعلها المؤلف ذيلاً لكتابه فانه بعد البسملة والعنوان (رسالة في النحو) بدأها بقوله :

« ذيلت بها كتابي هذا مضمناً إياها ما تشتت في اصل المعرب من الأدوات وشيء من مسائل الاعراب وجعلتها اربعة ابواب مفصلة ... »

بغداد : مصطفى علي

تهافت (حول « الإجابة » أيضاً)

كنت شكرت في هذه المجلة (م ١٦ ص ٣٣٥) العلامة كرنكو على ملاحظات بعث إلي بها من (كمبردج) على كتاب الاجابة لأنها دلت على اطلاع واخلاص معاً، وأخذت على فاضل كتب عن (الاجابة) عجلته في اشياء ومنعه الجائز والأولى في أخرى . وليس ذنبي ان كان المصيب فرنجياً والمخطئ من مدرسي الدين ، فان الحديث الشريف يتطلب ألا تأخذ المشتغل فيه لومة لائم وان يكون من الصادقين يعطي كلاً حقه . فساء هذا أناساً كتب احدهم كلمة في بعضها التهافت وفي بعضها الصواب ، وقد دل في الحالين على انه يتعاطى مالا يحسن ، وقد وجب بيان ذلك لأنه لا يخلو من فائدة للمبتدئين ، ولئلا يفسد أحد نسخته من كتاب (الاجابة) :

أ — فأما التهافت فاليك بيان بعضه :

١ — ذكرت في ص ١٥ س ٥ من كتاب (الاجابة) في مؤلفات الزركشي ما يلي : المختصر (في الحديث) . . . قال الزركشي في مختصره . . الخ فجاء يلاحظ قائلاً : (هو في مصطلح الحديث) اه والأمانة والاحتياط الدقيق يمنعان ذلك : لأنه ليس في اليد إلا النص المتقدم الذي ذكرته في كتابي وليس فيه نص على أن الكتاب في مصطلح الحديث ، ولذلك جعلت كلمة (الحديث) بين قوسين ولم اجعلها (مصطلح الحديث) لاحتمال ان يكون الكتاب في الحديث وشرحه فقط والشراح يتعرضون لما يعرض للحديث من شذوذ وقلب . و (مصطلح الحديث) داخل في مفهوم (الحديث) ولاعكس واشكل المشكلات توضيح الواضحات . وقد أسقط الملاحظ القوسين من كلامنا (مجلة المجمع م ١٦ ص ٥٢٦ س ٥) وهو عمل لا يتفق والامانة في شيء مع الاسف .

٢ — قال : ص ١٨ س ٨ : « أما » هي « نا » اه وهذا من سقم القراءة : فما قرأه (أما) انما هو (أنا) بحرف واضح جداً وقد تعبت حتى استطاع عامل المطبعة أن يضع نوناً لا نقطة لها مراعاة للاصل . واما التحريف المتعمد ففي زعمه أنها في الاصل (نا) وليس ذلك صحيحاً وانما هي (انا) بينة ما بها خفاء وهي مختزلة من اخبرنا .

٣ — في كتابنا ص ٧١ س ١٥ : « إنها حبيبة رسول الله » وقد نقلها الزركشي

من المستدرك ولم نكن من شيء أسر منا في ان المستدرك بيدنا وان الاصل المخطوط ومافي المستدرك تطابقا وهذا اشد ما يغبط الناشر كما يعرف ذلك كل محقق عانى ما عانيناه ٠ فجاء هذا يزعم أنها في الاصل المخطوط (حبة) لا (حبيبة) ولو سأل اي مناول في دار الكتب لقرأها له على صحتها ٠ وأقل ممارسة لخط الزركشي تدل صاحبها على أن الاسنان في هذه الكلمة ثلاث لا واحدة والصفحة مصورة في كتابنا يرجع اليها من شاء ٠ ولعل عذر الكاتب سوء النظر ٠ وأحر بمن يطمح إلى إبداء رأي في عمل كنشر (الاجابة) للزركشي ان يحسن القراءة ويتلقى الكتاب على من يحسن تلقينه ، قبل الاقدام على عرض الآراء على ما خيلت ٠

٤ — قوله : « وهم العلامة الاستاذ كرنكو ٠٠٠ » غير صحيح البتة ، فلم يخطئ كرنكو في وفاة البزار ، وهذا كتابه محفوظ عندي وفيه سنة الوفاة (٢٩٢) ، وإنما تحرفت في الطبع ثم سارعت المجلة الى تصحيحها في (م ١٦ ص ٤٨٠ قبل صدور كلمة الكاتب بأكثر من شهرين ، واشارت إلى ذلك ايضاً في (م ١٦ ص٥٨٨) في جدول الخطأ والصواب ٠ وليس من المروءة التسرع في اتهام المحسنين ٠ وقليل من الانصاف وإبصار الحق يزين صاحبه ٠

ب — وأما الصواب : في سقوط الف (ابو الفضل ابن حجر) ، وفي ان (ابو حجاج) في الأصل (ابو الحجاج) ، وفي ان ص ١٦٥ في الفهرس صوابها ١٦٦ ، وفي انتباهه الى الخطأ في (حفصة بن عمر ام المؤمنين) و (شرح جامع الجوامع ، و (الصباح المنير) الواردات في فهارس الكتاب ، فقد استطاع ان يعرف ان الصواب في الأولى (حفصة بنت ٠٠) وفي الثانية (شرح جمع الجوامع) وفي الثالثة (المصباح المنير) لكنه لم يعرف أنها وردت على الصواب في عدة مواضع من الكتاب ٠ ولست أدري هل هذا مما يلاحظ على اخراج كتاب كان السطر الواحد أحياناً يقذي عين ناشره نهاراً وطرفاً من الليل حتى يعثر على صوابه في مظان موثوقة ؟

لست أدري وإنما علي أن أشكره مهما كانت نيته والدافعون له فقد أتعب نفسه جداً وحسبك انه اختبر نحواً من (٢٤٠٠) رقماً في الفهرس حتى وجد أن ص ١٦٥ صوابها ١٦٦ ٠ وللقراء بعد أن يحكموا بما وجدوا ٠

اما عدم فهمه لترجيحي رسم (داوود) بواوين على رغم وضوح العلة ، ولصواب قولي (وعروة وابن الزبير) وما الى ذلك فأرى من الغثاثة شرحه في مثل هذه المجلة المحترمة لشدة وضوحه .

سعيد الافغاني

فند شمع أيضاً

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ١٧ — ص ٥٧) للأستاذ المغربي كلمة حول (فند شمع) تساءل بها الأستاذ عن منشئها ثم ذكر شيئاً عن (المعدن التي منه نبتت) . ولما لم يعثر في كل ماعنده من كتب اللغة على ما يبل الغلة رجع الى الحاج علي اكبر الشيرازي احد النزلاء الإيرانيين بدمشق ، يستفتيه في هذه الكلمة . . . الخ ما ورد في مقاله الطويل .

وفي رأيي ان منشأ كلمة (فند) جلي لايحتاج الى هذا التأويل والتوجيه المتكلف .

الأمر بسيط جداً : ان كلمة (فند) معرّبة عن كلمة (بند) الفارسية (بالباء الموحدة التحتية) ومعناها (الرَبطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد . . .) واستبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية امر لا يحتاج الى تدليل .

على هذا ان اصل (فند شمع) هو (بند شمع) والمعنى (ربطة شمع ، حزمة شمع) . ومن العجيب ألا يفطن الحاج الشيرازي المعمر ، إلى هذا .

وليس لنا ان ندعي عروبة (فند) وهي من اصل فارسي لا ريب فيه .

اما كلمة (پند بالباء المثلثة التحتية) فمعناها (الوعظ والنصيحة) ، وكلمة (فند ، الفارسية) فمعناها (الحيلة والدسيسة) فلا يمكن ان تكونا منشأ الكلمة (فندشمع) كما هو واضح .

هذا واني ما كنت لأتعرض لمقال الأستاذ المغربي الفاضل ، بهذه الكلمة ، لولا ثقتي بحرصه على ظهور الحق الذي هو رائد الجميع والله الموفق . الدكتور

محمد صلاح الدين الكواكبي

نشكر للدكتور اهتمامه ونقدر رأيه قدره ولكن اللغة مرجعها النقل لا الرأي فهل للدكتور ان ينقل لنا ان كان الفرس يستعملون كلمة (بند) في مثل هذا التركيب فيقولون (بند شمع) اي حزمة شمع والا فان عرب سورية ليسوا فرساً حتى يستعملوا كلمة فارسية لا يستعملها العرب فالمسألة إذن لاتزال في حاجة إلى البحث والتمحيص.

المغربي

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد السابع عشر

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء